وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة غرداية

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية

قسم التاريخ

الذاكرة الشعبية للثورة التحريرية في مدينة متليلي الشعانبة دراسة في الموروث المحلي و الرواية الشفوية (1954– 1962م)

مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات نيل شهادة الماستر في التاريخ

تخصص: تاريخ المغرب العربي المعاصر

إعداد الطالب: إشراف الأستاذ: – قريزة ربيعة

– بوزيد هيثم عبد الحكيم المشرف المساعد: أ.د. عمر بن قايد

نوقشت وأجيزت علنًا بتاريخ: 04 / 2026/06

أمام اللجنة المكونة من الأساتذة

الرتبة	الاسم واللقب	الجامعة	الصفة
د/	دهمة بكار	جامعة غرداية	رئيسا
د/	قريزة ربيعة	جامعة غرداية	مشرفا ومقررًا
أ.د/	بن قايد عمر	جامعة غرداية	مشرف مساعد
د.ة/	نواصر نصيرة	جامعة غرداية	مناقشا

الموسم الجامعي:

1448–1449هـ/ 2025– 2026م

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة غرداية

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية

قسم التاريخ

الذاكرة الشعبية للثورة التحريرية في مدينة متليلي الشعانبة دراسة في الموروث المحلي و الرواية الشفوية (1954– 1962م)

مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات نيل شهادة الماستر في التاريخ

تخصص: تاريخ المغرب العربي المعاصر

إعداد الطالب:

– بوزيد هيثم عبد الحكيم قايد

إشراف الأستاذ: – قريزة ربيعة

المشرف المساعد: أ.د. عمر بن

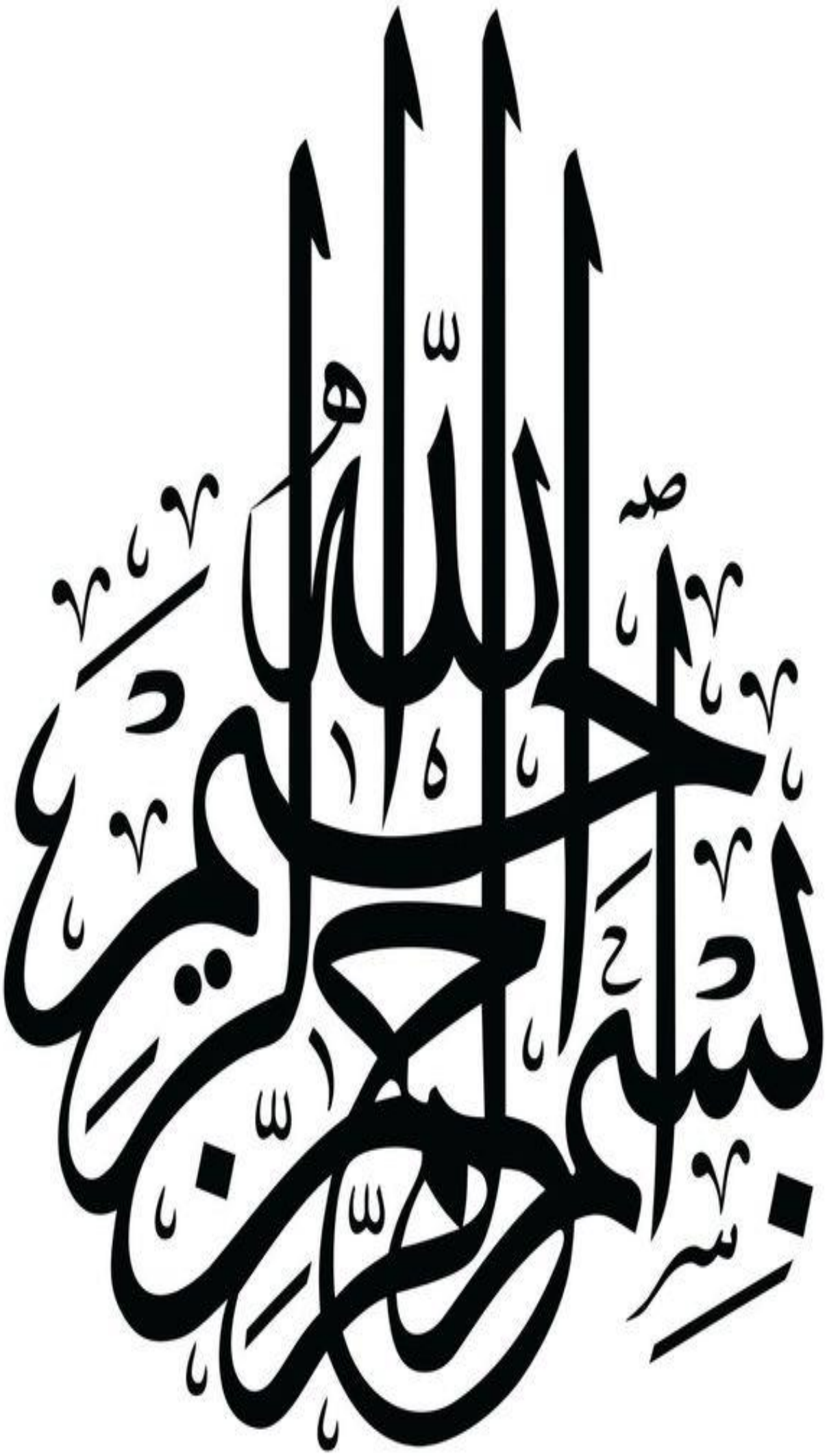
نوقشت وأجيزت علنًا بتاريخ: 04 / 2026/06

أمام اللجنة المكونة من الأساتذة

الرتبة	الاسم واللقب	الجامعة	الصفة
د/	دهمة بكار	جامعة غرداية	رئيسا
د/	قريزة ربيعة	جامعة غرداية	مشرفا ومقررًا
أ.د/	بن قايد عمر	جامعة غرداية	مشرف مساعد
د.ة/	نواصر نصيرة	جامعة غرداية	مناقشا

الموسم الجامعي:

1448–1449هـ/ 2025– 2026م


بسم الله الرحمن الرحيم

الاهداء

"إلى كل من كان لهم الفضل بعد الله في دعمي ومساندتي خلال مسيرتي العلمية، أهدي هذا العمل المتواضع، سائلًا الله أن يكون ثمرة جهدٍ خالصٍ ونافع".

إلى والديّ الكريمين، اللذين كانا النور الذي أضاء طريقي، والدعم الذي لا ينضب، أهدي هذا العمل تقديرًا وعرفانًا بفضلهما

"إلى أسرتي الكريمة، التي كانت مصدر قوتي وعزيمتي، أهدي هذا الجهد المتواضع، شكرًا لدعمكم المستمر وتشجيعكم الدائم".

"إلى من كان له دور في توجيهي ودعمي العلمي، أهدي هذا العمل تقديرًا لجهوده وإرشاداته القيّمة".

الشكر والتقدير:

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات،
نحمده سبحانه وتعالى على توفيقه لنا لإتمام
هذا العمل.
أتوجه بالشكر إلى كل أساتذة قسم التاريخ،
وكل من ساهم من قريب أو بعيد في إنجاح
هذا العمل.
وفي الأخير، لا يسعني إلا أن أتقدم بجزيل
الشكر إلى عائلتي على دعمهم المتواصل
وتشجيعهم الدائم.
والله ولي التوفيق

قائمة المختصرات

إ، ش :إشراف.

تح :تحقيق.

تر :ترجمة.

تع :تعليق.

ج :جزء.

د، ت :دون تاريخ.

د، ط :دون طبعة.

س، ج :السنة الجامعية.

ش، و، ن، ت :الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.

ص :صفحة.

ط :طبعة.

ع :عدد.

مج :مجلد.

Abréviations :

Éd : **édition**.

N° : **Numéro**.

P : **Page**.

Trad : **Traduction**.

مقدمة

مقدمة

تُعدّ الذاكرة الشعبية والرواية الشفوية من أهم المصادر التي أسهمت في حفظ تاريخ الشعوب وصيانة هويتها الثقافية والحضارية، خاصة في المجتمعات التي عانت من ضعف التدوين أو من ضياع الأرشيفات المكتوبة بفعل الاستعمار والحروب والتحولات السياسية. فالذاكرة ليست مجرد استرجاع للماضي، بل تمثل وعاءً جماعيًا تختزن فيه الشعوب تجاربها ومعاناتها وقيمها، وتعيد من خلاله تشكيل تاريخها وفق رؤيتها الخاصة. وقد برزت الرواية الشفوية باعتبارها أداة أساسية لنقل هذا التراث عبر الأجيال، بما تحمله من شهادات حية وتفاصيل دقيقة تكشف الجوانب المغيبة أو المهمشة من التاريخ الرسمي.

وفي السياق الجزائري، تحتل الثورة التحريرية مكانة مركزية في الذاكرة الوطنية، إذ شكّلت حدثًا مفصليًا في تاريخ الشعب الجزائري ونضاله ضد الاستعمار الفرنسي. غير أن العديد من المناطق، خاصة المناطق الصحراوية، لم تحظَ بما يكفي من الدراسة والتوثيق، رغم مساهمتها الفعالة في دعم الثورة سياسيًا وعسكريًا واجتماعيًا. ومن بين هذه المناطق تبرز مدينة متليلي الشعانبة، التي مثّلت فضاءً مهمًا للمقاومة والعمل الثوري، وحافظت ذاكرتها الشعبية على جانب معتبر من تاريخها النضالي. ومن هنا جاءت هذه الدراسة الموسومة بـ:

" الذاكرة الشعبية للمقاومة والثورة التحريرية في مدينة متليلي الشعانبة."

❖ **حدود الدراسة:**

- ✓ **الإطار المكاني**: تقتصر الدراسة على منطقة متليلي الشعانبة والمناطق المرتبطة بها ضمن محيطها الصحراوي.
- ✓ **الإطار الزماني**: تمتد حدود الدراسة الزمنية أساسًا بين سنتي 1954 و1962م، مع العودة أحيانًا إلى فترات سابقة لفهم السياق التاريخي والاجتماعي للمنطقة

❖ **اسباب اختيار الموضوع:**

ويرجع اختيار هذا الموضوع إلى عدة أسباب، من أهمها:

- ✓ الرغبة في إبراز دور متليلي الشعانبة في الثورة التحريرية، ورد الاعتبار للذاكرة المحلية التي ظلت مهمشة في العديد من الدراسات التاريخية.
- ✓ الاهتمام المتزايد بالتاريخ الشفوي باعتباره مصدرًا أساسيًا لفهم التاريخ الاجتماعي والثقافي، إضافة الى أهمية المحافظة على الموروث الشعبي من الاندثار في ظل التحولات المعاصرة.
- ✓ شغفى الكبير بتاريخ المنطقة ورغبتي في تسليط الضوء على موروثها النضالي والثقافي.
- ✓ المساهمة في توثيق شهادات المجاهدين وكبار السن حفاظا عليها للأجيال القادمة.
- ✓ التعريف بالدور الاجتماعي والثقافي لسكان المنطقة خلال فترة الثورة التحريرية.

❖ **اشكالية الدراسة:**

وانطلاقًا من ذلك، تتمحور إشكالية الدراسة حول التساؤل الآتي:

كيف ساهم الخيال الشعبي في حفظ وقائع الثورة التحريرية (1954–1962)؟ وكيف تجسدت أشكال الموروث الشعبي من شعر وحكايات وأمثال دورًا حيويًا في تعزيز الهوية الوطنية، مع ما يحمله من جوانب مغيبة عن التاريخ المدون؟

وتندرج تحت هذه الاشكالية الرئيسية عدة تساؤلات جزئية أبرزها:

- ✓ ما أبرز أشكال الموروث الشعبي في متليلي التي وثقت مساهمات الثورة؟
- ✓ ما طبيعة العلاقة بين الذاكرة الشعبية والرواية التاريخية الرسمية؟
- ✓ كيف أسهمت الروايات الشفوية في إبراز الجوانب المهملة من تاريخ الثورة في متليلي؟
- ✓ ما التحديات التي تواجه حفظ هذا الموروث في العصر الرقمي، وما دوره في تعزيز الهوية الوطنية؟

❖ **الخطة المتبعة:**

ولمعالجة هذه الإشكالية، قُسّم البحث إلى أربعة فصول؛ تناول **الفصل التمهيدي** الإطار النظري والمنهجي للذاكرة الشعبية والرواية الشفوية، بينما خُصص **الفصل الثاني** لدراسة السياق التاريخي والاجتماعي لمدينة متليلي الشعانبة قبل الثورة. أما **الفصل الثالث** فتناول مساهمات المنطقة في الثورة التحريرية اعتمادًا على الروايات الشفوية، في حين عالج **الفصل الرابع** آليات تحليل الذاكرة الشفوية وتحديات حفظها في ظل الرقمنة والتحولات المعاصرة.

فختمت دراستي بخاتمة فكانت مجموعة من الاستنتاجات توصلت اليها بعد البحث في الموضوع.

ثم قائمة المصادر والمراجع وأخيرا فهرس المحتويات.

❖ **الأهمية والأهداف:**

وتكمن هذه الأهمية والأهداف في:

- ✓ المساهمة في توثيق جانب من تاريخ الثورة التحريرية اعتمادًا على الرواية الشفوية.
- ✓ إبراز قيمة الذاكرة الشعبية باعتبارها مصدرا تاريخيا وثقافيا.
- ✓ إبراز دور التراث الشعبي في ترسيخ الهوية الوطنية والمحافظة على الوعي الجماعي.
- ✓ الكشف عن مساهمات منطقة متليلي الشعانبة في الثورة التحريرية.
- ✓ تحليل أشكال الموروث الشعبي المرتبط بالمقاومة والثورة التحريرية.
- ✓ دراسة آليات حفظ هذا التراث الشعبي وتحويله إلى مادة مكتوبة ورقمية.
- ✓ التعرف على كيفية انتقال الذاكرة الشعبية بين الأجيال في مدينة متليلي الشعانبة.

❖ **الدراسات السابقة:**

رغم الأهمية التاريخية البالغة التي قامت بها بدينة متليلي في الثورة التحريرية، إلا أنهم ركزو معظمهم على الجانب التاريخي أو الأدبي للمقاومة، دون التعمق في دراسة الذاكرة الشعبية باعتبارها مصدرًا تاريخيًا قائمًا بذاته يوثق أحداث الثورة التحريرية من خلال الرواية الشفوية والموروث الشعبي المحلي.

فقد استعنت بمجموعة من الدراسات الأكاديمية في كتابة هذا البحث نذكر منها:

- ✓ دراسة عبد الناصر بن نوي الموسومة بـ »*تجليات المقاومة الجزائرية في الأدب الشعبي – منطقة متليلي أنموذجًا*«، والتي ركزت على حضور المقاومة في الشعر الشعبي والحكايات والأمثال المتداولة محليًا، مبرزة دور الأدب الشعبي في حفظ الذاكرة الجماعية ونقل أحداث المقاومة عبر الأجيال.
- ✓ كما تناولت دراسة الشيخ لكحل المعنونة بـ »*مقاومة منطقة متليلي الشعانبة للاستعمار الفرنسي في الفترة ما بين 1851–1908* «الجوانب التاريخية للمقاومات الشعبية بالمنطقة، موضحة أشكال التصدي للاستعمار الفرنسي ومساهمة أبناء الشعانبة في الحركات الثورية المبكرة.
- ✓ وفي السياق ذاته، عالجت دراسة « *دور أبناء الشعانبة في الثورة التحريرية 1954–1962* » ل منصورة مطلق وأمال زريعة مساهمة شخصيات المنطقة في الكفاح المسلح والتنظيم الثوري خلال الثورة التحريرية، مع إبراز الأدوار الوطنية التي قام بها سكان المنطقة. كما اهتمت بعض المقالات العلمية بدراسة النشاط الوطني والتحضير للعمل المسلح في متليلي، إلى جانب مساهمة الشعانبة في الثورات الشعبية بالجنوب الجزائري.

وقد استفدنا من هذه الدراسات في عدة نقاط ابرزها مقاومة و مساهمة متليلي في الثورة التحريرية و أبرز اشكال الشعر الشعبي في المنطقة و أدوار أبناء مدينة متليلي في الثورة ومن هنا تأتي أهمية هذا البحث الموسوم بـ "الذاكرة الشعبية للمقاومة والثورة التحريرية في مدينة متليلي الشعانبة"، الذي يسعى إلى إبراز دور الذاكرة الشعبية في حفظ تاريخ المنطقة واستعادة مساهمات سكانها في المقاومة والثورة التحريرية، اعتمادًا على الروايات الشفوية والشهادات الشعبية بوصفها وعاءً للذاكرة الجماعية ومصدرًا مكمّلًا للكتابة التاريخية.

❖ **تقديم المصادر والمراجع:**

أسَّسَ البحث على مصادر ومراجع متنوعة، شملت الكتب التاريخية، والدراسات الأكاديمية، والمقالات العلمية، إضافة إلى الشهادات الشفوية والروايات الشعبية. واعتمد نظريًا على مراجع أساسية في الذاكرة الجماعية والتاريخ الشفوي، خاصة كتاب الذاكرة الجمعية لموريس هالبفاكس، وكتاب المأثورات الشفهية: دراسة في المنهجية التاريخية ليان فانسينا، إلى جانب مراجع التراث الشعبي مثل في علم التراث الشعبي للطفي الحوري، وأولية النص لطلال حرب، مما وفر إطارًا نظريًا ومنهجيًا متينًا.

كما ارتكز البحث تاريخيًا على الدراسات المحلية، خاصة أطروحة مقاومة منطقة متليلي الشعانبة للاستعمار الفرنسي (1851–1908م) للشيخ لكحل، ومقال دور منطقة متليلي في الحركة الوطنية الجزائرية والتحضير للعمل المسلح ما بين 1938–1954 لبكار الدهمة وصالح بوسليم، اللذين قدّما معطيات دقيقة حول تاريخ المنطقة والمقاومة والثورة، رغم أن كثرة الاعتماد عليهما قللت نسبيًا من تنوع المقاربات التاريخية.

واستفاد البحث أيضًا من المصادر الفرنسية والاستعمارية مثل: Les Chaamba, leur nomadismeلأوغست كوناي، و Le Sahara Algérienلأوجين دوما، غير أن هذه المصادر تتطلب قراءة حذرة ونقدية بسبب خلفيتها الاستعمارية وما تحمله من تصورات مرتبطة بالرؤية الكولونيالية للمجتمع الصحراوي الجزائري.

❖ **المنهج المتبع:**

وقد اعتمدت الدراسة على عدد من المناهج، أبرزها المنهج التاريخي لتحليل الأحداث وتتبع تطورها، والمنهج الوصفي التحليلي لدراسة الروايات الشفوية والموروث الشعبي.

❖ **صعوبات البحث:**

وقد واجهت الدراسة صعوبات وعراقيل نذكر منها:

- ✓ صعوبة جمع الروايات الشفوية بسبب وفاة عدد من الشهود أو تقدمهم في السن.
- ✓ كثرة الوثائق والأرشيفات المتعلقة بتاريخ منطقة متليلي خلال الثورة التحريريةمما يصعب دراستها في وقت محدود وقصير .
- ✓ قلة الدراسات والمصادر المكتوبة التي تناولت الذاكرة الشعبية بالمنطقة.
- ✓ اختلاف الروايات الشفوية من راوٍ لآخر، مما يصعّب التحقق من دقة بعض المعلومات التاريخية.
- ✓ محدودية التوثيق الرسمي لبعض أحداث المقاومة والثورة في المنطقة.

تبقى هذه الدراسة متواضعة إجمالًا، إذ حاولنا من خلالها إبراز أهمية الذاكرة الشعبية للمقاومة والثورة التحريرية في مدينة متليلي الشعانبة، ودورها في حفظ تاريخ المنطقة وتضحيات أبنائها خلال فترة الاستعمار والثورة التحريرية، رغم الصعوبات التي واجهتنا في جمع المعلومات وتوثيق الروايات الشفوية.

هذا ما تمكنت من الوصل إليه، فإن وفقت فمن الله وحده وإن أخطأت فمن أنفسي ومن الشيطان ونستغفر الله على ذلك، وفي الأخير نشكر الأستاذة قريزة ربيعة على إشرافها لهذه المذكرة وتوجهاتها القيمة، والشكر موصول لأعضاء لجنة المناقشة على تفضلهم بقراءة ومناقشة مذكرتي، فلهم مني أسمى عبارات التقدير والإحترام والسلام عليكم ورحمة الله.

الفصل الأول :الإطار النظري للذاكرة الشعبية والرواية الشفوية

المبحث الأول: مفاهيم الذاكرة الشعبية، الجماعية، الفردية وعلاقتها بالتاريخ

المبحث الثاني: الرواية الشفوية كمصدر تاريخي، النظرية والتطبيق

المبحث الثالث: أشكال الموروث الشعبي: الشعر، الحكايات، الأمثال، ودوره في الحفاظ على الذاكرة

تمهيد:

يُعدّ موضوع الذاكرة الشعبية والرواية الشفوية من الموضوعات الأساسية في الدراسات التاريخية والأنثروبولوجية، لما لهما من دور بارز في حفظ التجارب الإنسانية ونقلها عبر الأجيال. فالذاكرة ليست مجرد استرجاع لأحداث الماضي، بل هي بناء اجتماعي وثقافي يتشكل ضمن سياقات زمنية وتاريخية محددة، وتتداخل فيه الأبعاد الفردية والجماعية. ومن هذا المنطلق، يسعى هذا الفصل إلى ضبط الإطار النظري والمنهجي لمفاهيم الذاكرة بمختلف تجلياتها، من خلال التمييز بين الذاكرة الشعبية والجماعية والفردية، وبيان علاقتها بالتاريخ. كما يتناول الرواية الشفوية باعتبارها مصدرًا تاريخيًا مهمًا، مع إبراز قيمتها العلمية وحدودها المنهجية، إضافة إلى الوقوف على أبرز أشكال الموروث الشعبي ودورها في حفظ الذاكرة الجماعية وإعادة إنتاجها داخل المجتمع.

المبحث الأول: مفاهيم الذاكرة الشعبية، الجماعية، الفردية وعلاقتها بالتاريخ

تُعدّ الذاكرة بمختلف أشكالها من أهمّ المفاهيم التي تُسهم في فهم علاقة الإنسان بماضيه، إذ لا يقتصر دورها على حفظ الأحداث واسترجاعها، بل تتجاوز ذلك إلى إعادة بنائها وتأويلها في ضوء الحاضر. فالذاكرة ليست معطى ثابتًا، بل هي عملية ديناميكية تتداخل فيها الأبعاد النفسية والاجتماعية والثقافية، مما يجعلها عنصرًا أساسيًا في تشكيل الهوية الفردية والجماعية على حدّ سواء.

وتتخذ الذاكرة صورًا متعدّدة، من أبرزها: الذاكرة الشعبية التي تعبّر عن المخزون التراثي المتوارث عبر الأجيال، والذاكرة الجماعية التي تتشكل داخل الأطر الاجتماعية وتُسهم في توحيد تمثلات الجماعة لماضيها، إضافة إلى الذاكرة الفردية التي ترتبط بتجربة الشخص ووعيه الذاتي. وتُظهر هذه الأنواع من الذاكرة تداخلًا واضحًا فيما بينها، حيث لا يمكن فصل الفردي عن الجماعي أو الشعبي، بل تتكامل جميعها في إنتاج المعنى التاريخي.

أولا: مفهوم الذاكرة الشعبية

تُعرَّف الذاكرة الشعبية بأنها ذلك المخزون الجمعي المتوارث الذي تحتفظ به الجماعات البشرية عبر الأجيال، ويتجلى أساسًا في التراث الشفهي والفولكلوري، حيث تحفظ مختلف الممارسات والعادات والتصورات المرتبطة بحياة الإنسان منذ نشأته الأولى إلى الحاضر. فهي ذاكرة تقوم على التواتر والاستمرار، إذ تُعد "مخزونًا متواتر الحلقات، تحفظ أدق دقائق شعائر وممارسات الولادة والموت الأولى إلى أيامنا"[1]، كما تشمل الحكايات الشعبية والأساطير والأمثال والتقاليد التي تنتقل شفهيًا بين الأفراد.

[1] عبد الحكيم شوقي، **الرجل والمرأة في التراث الشعبي**، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة، طبعة الكترونية،2015 م، أصل النشر: 2001، ص 9.

وتتميز الذاكرة الشعبية بكونها عملية جدلية عقلية جماعية، "تتكامل فيها عقول أجيال طولًا وعرضًا، أو زمانًا ومكانًا، وتكاد ألا تفقد شيئًا أو تفتقده من مخزونها الجمعي"[1]، مما يجعلها وسيلة أساسية لحفظ التراث الإنساني واستمراريته. كما أنها تعمل على الكشف عن الماضي التاريخي والحضاري، إذ ساهمت الحكايات والأساطير الشعبية في توجيه الاكتشافات الأثرية، اعتمادًا على ما تختزنه من دلالات ورموز.

وتقوم هذه الذاكرة كذلك على الانتقال الشفهي، حيث تعتمد على الحفظ والتلقين والتكرار، خاصة في المجتمعات التي يغلب عليها الطابع الشفهي، مما يجعلها أداة لحفظ النصوص الدينية والأدبية والشعرية، إضافة إلى الأحاجي والفوازير وغيرها من أشكال التعبير الشعبي.

ثانيا: مفهوم الذاكرة الجماعية

الذاكرة الجماعية ليست مجرد جمعٍ للعديد من الذاكرات الفردية، بل هي بناءٌ واعٍ وإرادي إلى حدٍّ ما؛ فهي تُعرَّف بالقدرة على الاستحضار وأنماط التخزين، وبمحتوى المادة التي يتذكّرها الأفراد والجماعات. وفي هذا المعنى يعرّفها وجيه كوثراني بأنها اختزان أحداث وتجارب وعلاقات يمرّ بها الإنسان في مراحل حياته، ويستحضرها صورًا في محطات معيّنة بناءً على محفّزٍ ما[2] وبالتالي، فالذاكرة هي الترسيخ الذهني لتجارب معاشة أو منقولة، وهي محدَّدة اجتماعيًا، وتؤثّر إلى حدٍّ كبير في تمسّك الأفراد والجماعات والثقافات بطريقة عيشهم أو بمُثُلهم العليا. كما أن الذاكرة قابلة للتأثّر بعامل الزمن، لذلك ينبغي وضعها دائمًا في سياقها الاجتماعي والتاريخي[3].

[1] نفسه، مرجع سابق، ص10

[2] وجيه كوثراني، **استحضار الذاكرة التاريخية وتشكيل الهوية**، دار الطليعة، بيروت، 1993م، ص 20.

[3] قاسي فريدة، "**الذاكرة الجماعية وإشكالية كتابة التاريخ**"، مجلة الآداب والحضارة الإسلامية، مج14، ع 28، 2022م، ص 6.

من جهة أخرى، تهدف المبادرات الجماعية لحفظ الذاكرة إلى تخليد ذكرى حدثٍ ما وقع في الماضي، ويكون في غالب الأحيان محلّ خلاف، أو إلى تعزيز فهمه داخل المجتمع. وفي هذا السياق يشبّه آلان بادلي الذاكرة بآلةٍ نتحايل بها لكي نتملّص من الحقائق الكريهة، فهي تشبه مصيدةً تمسك بهذه الحقائق[1].

وترتبط الذاكرة الجماعية ارتباطًا وثيقًا ببنية تاريخٍ فرديٍّ معاش. وقد ميّز موريس هالبفاكس بين مستوياتٍ مختلفة للذاكرة: الذاكرة الفردية، والذاكرة المستعارة (التي تتميّز بطابع التعدّدية الجيلية، حيث تتداخل عدة أجيال في العمل التذكّري)، والذاكرة الاجتماعية (المرتبطة بجماعةٍ ما)، وأخيرًا الذاكرة الوطنية. ويركّز هالبفاكس على الذاكرة الجماعية، لأن التفكير الجماعي ليس كيانًا مستقلًا، بل يتشكّل داخل الأطر الاجتماعية التي تؤطّر وعي الأفراد لا توجد الذاكرة الجماعية ولا تتحقق إلا من خلال الضمائر الفردية؛ إذ يقول موريس هالبفاكس: "إن كل ذاكرة فردية هي وجهة نظر تُطلّ على الذاكرة الجماعية"[2]

الأول يعود إلى الكيفية التي تتضافر فيها عوامل الزمن واللغة والمجال في توفير هياكل للتأويل، وهي استعدادات للتذكّر والنسيان؛ وبالتالي فإن تلك الأطر تُسهِّل عملية تحديد مواقع الذاكرة داخل هذا المجتمع أو ذاك.

أما المستوى الثاني، فيتمثّل في أنه لا توجد ذاكرة خارج الأطر التي يستعملها الناس الذين يعيشون حياةً مجتمعية من أجل تثبيت واستعادة تذكاراتهم؛ فتشكّل الذاكرة المشتركة داخل جماعةٍ ما يرتبط بالأطر التذكارية الخاصة بالمجتمع الذي تنتمي إليه هذه الجماعة

[1] ديفيد كانادين، **ما التاريخ الآن؟**، تروتق: قاسم عبده قاسم، ط 1، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة،2006، ص 257.

[2] موريس هالبفاكس، **الذاكرة الجمعية**، تر: نسرين الزهر، بيت المواطن للنشر والتوزيع، د ط، دمشق/بيروت، 2016م، ص ص 6–7.

وبناءً على ذلك، يؤكد هالبفاكس أن الجماعة حين تتمثّل ماضيها، فإن ذاكرتها – لا تاريخها – هي التي تحتل الصدارة[1]

ويفرّق المفكّر الفرنسي بيير نورا بين الذاكرة الجماعية والذاكرة التاريخية بقوله: «الذاكرة الجماعية هي ما يتبقى من الماضي في معاش الجماعات أو ما تتمثّله بشأنه؛ إنها ذاكرة جماعات واسعة على مستوى النطاقات الثقافية والأيديولوجيات السياسية والدينية. وعليه، تمتاز الذاكرة بالضبابية والتداخل، وتُبنى على اعتقادٍ قائم على الصراع، وتراهن على حاجيات اللحظة وإعادة بناء المخيال. في حين تمتاز الذاكرة التاريخية بالوحدة والتماسك، وهي ثمرة تجربة معرفية تروم الكشف عن الحقيقة ما أمكن»[2]

ثالثا: مفهوم الذاكرة الفردية

تمثّل الذاكرة على مستوى الإنسان جانبًا أصيلًا من جوانب شخصيته، فهي لا تعني مجرد ذكريات الماضي بجانبيه الحلو والمر، بل تعني في الأساس مجموع الخبرات والتجارب التي تشكّل وعي الإنسان وتحدّد قدرته على التعامل مع الحاضر الراهن، بل تمثّل شروط التعامل مع هذا الحاضر، تلك الشروط التي تُعدّ أساس أي معرفة. وحين يفقد الإنسان ذاكرته فإنه يفقد ذاته، لأنه يفقد الشروط الموضوعية التي تجعله يعيش الحاضر ويتعامل معه[3]

وتثير كلمة «ذاكرة» حقائق مختلفة يتوجب التفريق بينها بعناية؛ فالذاكرة الفردية هي خاصية نفسية تقوم على أساس سيكولوجي، تُخلِّد في ذهن كل إنسان وعيًا بالأوضاع التي عاشها والأحاسيس التي شعر بها، وتأخذ هذه الخاصية أشكالًا متنوعة[4] وتُفهم الذاكرة الفردية على أنها ذلك المخزون الذهني

---

[1] موريس هالبفاكس، *الذاكرة الجمعية*، **مرجع سابق**، ص 104.

[2] زهير سوكاح، "**أماكن الذاكرة**"، الحوار المتمدن، العدد 1867، مارس 2007م، ص 10.

[3] هرنشو، ج.، **علم التاريخ**، تر: عبد الحميد العبادي، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ط2، 1957م، ص 25.

[4] قاسي فريدة، **الذاكرة الجماعية وإشكالية كتابة التاريخ**، مجلة الآداب والحضارة الإسلامية، مج 14، 2022م، ص 7.

المرتبط بتجربة الذات وما تتعرض له من عمليات تذكر ونسيان، وهي ذاكرة قابلة للتأثر بالاضطرابات النفسية أو العضوية، كما يمكن أن تتعرض للمراوغة والتلاعب بفعل آليات الكبت أو الظروف الإيديولوجية والسياسية، إذ قد، تقع حينها للمراوغة والتلاعب، في الآن نفسه الذي يمكنها أن تحظى بالحالات السعيدة كالإعتراف والتذكر الارتدادي وغيرها من آليات الكبت التي تحجب ما أصابها من آلام وصدمات، وهذا قد يكون على مستوى الذاكرة الفردية أو الجماعية [1]

كما ترتبط الذاكرة الفردية بعملية انتقائية داخلية تقوم على حفظ بعض الذكريات وكبت أخرى، حيث ''تقوم بانتقاء ما يناسبها من الذكريات، فتقوم بتذكر ما ترغب وتكبت ما ترفض[2] ، مما يجعلها عرضة للتوجيه والتشويه سواء من قبل الفرد نفسه أو من قبل السلطة التي قد تسعى إلى ''تشويه الذاكرة من خلال تلقين الفئة الناشئة لمعارف تاريخية مزيفة''[3] ، وهو ما يؤدي إلى إنتاج ذاكرة غير مكتملة أو مشوهة تُستعمل أحيانًا لخدمة أهداف سياسية أو سلطوية.

يرى إدموند هوسرل ان الذاكرة الفردية تُفهم ضمن ما يُعرف بالمنظور الداخلي، الذي يعتبر أن الذاكرة فعل ذاتي خالص يرتبط بتجربة الفرد ووعيه الخاص، وأن الذكرى والإدراك وسائر أفعال التذكر هي ''معيشات ذاتية'' نابعة من وعي الفرد، مما يجعل الذاكرة مرتبطة أساسًا بالبنية الشعورية والذاتية للفرد[4]

وعليه، فالذاكرة الفردية تعبّر عن قدرة الشخص على تخزين أحداث الماضي واسترجاعها وإعادة بنائها

[1] Dosse, François, **Le moment Ricœur de l'opération historiographique**, **in Vingtième Siècle**. **Revue d'histoire**, n° 69, janvier–mars 2001, p. 148.

[2] عشي، أنيسة، **أنطولوجيا النسيان رهانا لتأسيس ذات الإنسان عند بول ريكور**، مجلد 14، العدد 2، 2024م، جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان، الجزائر ص 110.

[3] نفس المرجع، ص 110

[4] إدموند هوسرل، **فكرة الفينومينولوجيا**، تر: أحمد الصادقي، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، ط1، سوريا، 2009م، ص 32.

وفق تجربته الخاصة وتمثلاته الذاتية وليست مجرد استرجاع بسيط للماضي، بل هي عملية معقدة تتداخل فيها الذات مع آليات النسيان والتذكر، وقد تمتد آثارها إلى تشكيل الوعي الفردي والجماعي عبر الزمن.

ومن خلال ما سبق، يتضح أن الذاكرة بمختلف أشكالها تمثل الإطار المرجعي الذي يُبنى عليه فهم الماضي وإعادة تشكيله، وهو ما يقودنا إلى دراسة الرواية الشفوية باعتبارها تجسيدًا عمليًا لهذه الذاكرة ووسيلة لنقلها عبر الأجيال.

المبحث الثاني: الرواية الشفوية كمصدر تاريخي، النظرية والتطبيق

يتكون التاريخ من وقائع حدثت مرة واحدة وإلى الأبد، لأن التاريخ يقوم على الزمان، وأول خاصية من خصائص الزمان عدم قابليته للإعادة؛ إذ إن صفته الأساسية هي الاتجاه قُدمًا دون تراجع أو تخلّف أو تكرار. وتتمثل مهمة المؤرخ في استرداد ما كان في الزمان، لا ليتحقق فعليًا، بل ليستحضره ذهنيًا وبطريقة عقلية صرفة، فيحاول إعادة بناء ما جرت عليه الحوادث التاريخية، ويعيش تجارب الماضي كما حدثت، في نوع من التخيل القائم على ما خلّفته الأحداث الماضية من آثار، وذلك من خلال التركيب والتحليل والسرد. ويتحقق هذا بقدرة المؤرخ على النفاذ وراء الآثار الغابرة المتباعدة[1]

أما النوع الأول فلا يؤدي كثيرًا إلى الأخطاء، لأنه أثر مادي يتكافأ مع مؤثر حقيقي فعلي، مثل الأبنية والمعادن وغيرها. أما في حالة النوع الثاني من الوثائق، فالأمر عسير؛ لأنه عبارة عن آثار متخلفة في نفسية إنسان عن حادث من الأحداث. والإنسان بطبعه كائن حرّ متغير، شديد التأثر، يخضع لعوامل متعددة ويتأثر بها بطرق مختلفة وعلى أنحاء متباينة، فضلًا عن أن لديه دوافع عديدة للتحريف أو التزييف أو الوقوع في الخطأ أو مجرد الوهم. ومن هنا فإننا نكون أمام محاولة شاقة لكتابة هذه الأحداث

[1] عبد الرحمن بدوي، **مناهج البحث العلمي**، وكالة المطبوعات، ط3، الكويت، 1977م، ص 183.

والتحقق من صحتها، وتقدير مقدار الصدق في نقلها، وهي من أبرز الإشكالات المرتبطة بصحة هذه الروايات[1] .

لكن، رغم ذلك، يصعب على الباحث في التاريخ المعاصر، أو أي مؤرخ يسعى إلى التأريخ لحقبة معاصرة، أن يتجاهل الاعتماد على روايات من عايشوا تلك المرحلة، وإلا افتقرت دراسته إلى الدقة. فقد أصبحت الرواية الشفوية لازمة ومهمة، وشاهدة على العصر. غير أنه ينبغي على الباحث، عند اعتماده عليها، ألا يعدّها بديلًا عن الوثائق والمصادر التاريخية الأخرى لأي سبب من الأسباب، بل يعتبرها مكملة وداعمة لها، إلا في حالة انفرادها بذكر خبر أو حادثة لم يرد لها ذكر في تلك الوثائق أو المصادر[2]

تُعدّ الرواية الشفوية منهجًا بحثيًا مهمًا في الدراسات التاريخية، إذ تهدف إلى دراسة الماضي من خلال الكلمة المحكية المحفوظة في الذاكرة الإنسانية، والمنقولة مشافهة عبر روايات الأفراد وذكرياتهم عن أحداث حياتهم وخبراتهم ومشاهداتهم، خاصة تلك التي شاركوا فيها أو عايشوها بشكل مباشر[3]

وقد وُجد هذا النمط من التدوين منذ القدم، حيث شكّلت الكلمة المنطوقة وسيلة أساسية لنقل المعارف والتجارب بين الأجيال، ولا تزال تحتفظ بأهميتها رغم تطور وسائل التدوين الحديثة[4]. وعليه، يمكن تعريف الرواية الشفوية بأنها تسجيلٌ لذاكرة الأفراد وتجاربهم في الماضي القريب، اعتمادًا على مقابلات منظمة تُجرى بين الباحث والراوي[5]

[1] عبد الرحمن بدوي، مناهج البحث العلمي، **مرجع السابق**، ص 187.

[2] عبد الحميد جمال الفراني، وناهض محمود إبراهيم محسن، **دور التاريخ الشفوي في توثيق ملفات القضية الفلسطينية**: الرواية الشفوية عند يزيد صايغ في كتابه الكفاح المسلح والبحث عن الدولة: الحركة الوطنية الفلسطينية 1949–1993م، دراسة تحليلية، 2007م، ص 03.

[3] نفسه، ص 03.

[4] محمد حبيدة، **التاريخ الشفهي وكتابة التاريخ: قراءات وتأويلات**، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، ط1، المغرب، 2013م، ص 48.

[5] مجموعة مؤلفين، **التاريخ الشفوي**، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ط1، بيروت، 2015، مج2، ص 248.

وتبرز أهمية الرواية الشفوية في كونها أداةً تمكّن المؤرخ من الولوج إلى مجالات معرفية ظلّت مهمّشة في التاريخ المكتوب، خاصة ما يتعلق بتاريخ الفئات الاجتماعية الدنيا، وتاريخ الحياة اليومية والعقليات[1]

وقد اختلفت مواقف المؤرخين منها؛ فبينما يرى البعض أنها مصدر غير دقيق لاعتمادها على الذاكرة، يعتبرها آخرون أداة ضرورية لإعادة بناء التاريخ من "الأسفل"، أي تاريخ الفئات المهمّشة[2] لذلك، فإن اعتمادها يقتضي إخضاعها لمنهج نقدي صارم، يشمل دراسة الراوي نفسه، ومقارنة رواياته بمصادر أخرى[3]

وعلى هذا الأساس، أصبح التاريخ الشفوي حقلًا إسطوغرافيًا متجددًا، يهتم بدراسة الفئات المهمشة والأقليات، ويسعى إلى سدّ الثغرات التي تركها التاريخ الرسمي، مما يجعله مصدرًا أساسيًا في إعادة كتابة التاريخ بصورة أكثر شمولًا[4]

وخلاصة القول، إن الرواية الشفوية تمثل مصدرًا تاريخيًا مهمًا، يُكمل المصادر المكتوبة ويسهم في حفظ الذاكرة الإنسانية، شريطة إخضاعها للنقد والتحليل العلمي، وتحري الدقة في نقلها وتوظيفها[5] على المستوى التطبيقي، تُستخدم الرواية الشفوية كأداة لجمع المادة التاريخية من خلال إجراء مقابلات مع شهود العيان والفاعلين في الأحداث، مما يتيح للمؤرخ الوصول إلى معطيات لا توفرها الوثائق المكتوبة[6]

---

[1] حسام هاب، **التاريخ الشفوي: تاريخ من لا تاريخ له**، مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، قسم الدراسات الدينية، 2014م، www.thaqafa.org

[2] أسامة محمد أبو نحل، **الرواية الشفوية في الرسائل العلمية الخاصة بتاريخ فلسطين المعاصر: دراسة تحليلية**، مؤتمر التاريخ الشفوي، الجامعة الإسلامية، غزة، 2006. http://www.thaqafa.org/

[3] عبد الله بن إبراهيم العسكر، "أهمية تدوين التاريخ الشفهي"، مجلة الدرعية، ع 39–40، 2007، ص 89.

[4] مجموعة مؤلفين، التاريخ الشفوي، مرجع سابق، ص 19

[5] عبد الحميد جمال الفراني، ناهض محمود إبراهيم محسن، دور التاريخ...، مرجع سابق، ص 36.

[6] عدنان أحمد أبو شبيكة، **لغة الرواية في التاريخ الشفوي الفلسطيني بين الفصحى والعامية**، مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات، ع 21، 2010م، ص 490.

كما تسهم في استكمال النقص في الوثائق الرسمية، خاصة في الحالات التي تغيب فيها المصادر المكتوبة أو تكون غير متاحة[1] وتُعدّ وسيلة لإبراز دور الفئات المهمشة وإعادة كتابة التاريخ من منظور "التاريخ من الأسفل"[2]

غير أن التطبيق العملي لهذا المنهج يقتضي الالتزام بضوابط علمية، منها:[3]

- التحقق من مصداقية الراوي وخبرته بالحدث .
- تهيئة ظروف مناسبة للمقابلة .
- مقارنة الروايات الشفوية بمصادر أخرى .
- نقل الشهادة الشفوية إلى نص مكتوب بعد تحليلها ونقدها

وإذا كانت الرواية الشفوية تمثل وسيلة لنقل الذاكرة واستحضار أحداث الماضي، فإن الموروث الشعبي يعدّ المجال الثقافي الذي تتجسد فيه هذه الذاكرة وتُعاد صياغتها داخل المجتمع، وهو ما سنحاول توضيحه في المبحث الموالي.

[1] عبد الحميد جمال الفراني، ناهض محمود إبراهيم محسن، دور التاريخ ...، مرجع سابق، ص 8.

[2] محمد مجاود، **أهمية المنهج الشفوي في الكتابات التاريخية**، الناصرية للدراسات الاجتماعية والتاريخية. ع خ، 2012م، ص 7.

[3] نفسه، ص 14.

المبحث الثالث: أشكال الموروث الشعبي: الشعر، الحكايات، الأمثال، ودوره في الحفاظ على الذاكرة

يتفق كل الدارسون على أن المفهوم العام للموروث يعني ما يرثه الخلف عن السلف، إلا أن استعمالات المفهوم تختلف؛ فيرى البعض أن التراث المكتوب فقط، ويحذف منه كل ما هو شفوي من عناصر التراث الشعبي التي وصلت إلينا شفاها، لذا فهو لا يشمل كافة الجوانب التراثية[1].

وقد تنوعت دلالات (التراث) في العصر الحاضر، واكتسبت مضامين جديدة لم تحملها في أي وقت مضى؛ وذلك تبعا للتطور الزمني والحضاري، إذ أصبحت كلمة التراث تعني داخل الخطاب العربي المعاصر كل ما يشترك العرب في وراثته روحيا وفكريا، وتشمل بذلك التراث الثقافي والفكري والديني والأدبي والفني[2] .

يشمل التراث الشعبي المعتقدات والعادات والتقاليد والأزياء والطقوس الدينية المختلفة، والمناسبات كالزواج والميلاد والختان والوفاة وغيرها، ويتسع هذا المفهوم ليشمل العلاقات الاجتماعية بين الأفراد وتعاملاتهم مع بعضهم البعض.

والتراث الشعبي بهذا المفهوم يتفق مع معنى الفلكلور، بصرف النظر عن اختلافات الدارسين حول مدى تطابق المصطلحين[3]، والفلكلور اصطلاح علمي أدخله وليم توماس إلى مجال الدراسات، ويراد به ما اتصل بالناس من عادات وتقاليد وفنون شعبية، وما تداولوه من أمثال وقصص وأساطير[4] .

---

[1] حسين محمد سليمان، الثورات العربي الإسلامي، دراسة تاريخية ومقارنة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د.ت، ص 21.

[2] ينظر حلمي بدير، أثر الأدب الشعبي في الأدب الحديث، دار الوفاء، ط1، 2002، ص 13.

[3] لطفي الحوري، في علم التراث الشعبي، منشورات وزارة الثقافة والفنون، وعلاء العراق، 1998، ص 7.

[4] مرجع نفسه، ص 18-20.

أ – الشعر الشعبي:

يطلق الشعر الشعبي على كل كلام منظوم من بيئة شعبه بلهجة عامية، تتضمن نصوصه التعبير عن وجدان الشعب وآماله، متوارثًا جيلًا عن جيل عن طريق المشافهة، وقائله قد يكون أميًا وقد يكون متعلمًا بصورة أو بأخرى، مثل المتلقي أيضًا[1].

ويعرف الدكتور مصطفى حركات الشعر الشعبي بأنه "كل شعر خالفت لغته اللغة الفصحى في الإعراب أو الصرف أو المعجم"[2].

وقد تبنى الباحث التلي بن الشيخ مصطلح الشعر الشعبي دون غيره من المصطلحات، لأنه يتطابق مع مفهوم الشعبية، حيث قال: "وبالرغم من أن الشعراء الشعبيين قد أطلقوا على الشعر تسميات مختلفة، فإننا نميل إلى الاعتقاد بأن تسمية الشعر الشعبي تتطابق مع مفهوم الطبقات الشعبية لهذا اللون من التعبير أكثر من غيره من المصطلحات الأخرى، مثل الملحون والعامي والزجل"[3].

وللشعر الشعبي حضور واسع في الأدب العربي القديم والحديث شأنه شأن الأدب الفصيح، وهو فن شعبي عرفته كثير من الدول كالجزائر ومصر وليبيا ولبنان وبلدان الخليج، وهو يمتاز بخاصية الذيوع والانتشار بين الأوساط الشعبية الجزائرية، وبأصالته وجذوره الضاربة في أعماق التاريخ، سواء في انبثاقه من التربة الجزائرية أو في علاقته بالتراث العربي الإسلامي، إذ لا ننسى أن شعرنا الشعبي قد أبدع في ظل القيم الفنية التي ورثها عن الشعر العربي القديم، متأثرًا من ناحية أخرى بالموشحات والأزجال الأندلسية

[1] التلي بن الشيخ، **دور الشعر الشعبي الجزائري في الثورة(1954 – 1830)** ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1983م، ص 395.

[2] مصطفى حركات، **الهادي إلى أوزان الشعر الشعبي**، دار الآفاق، الجزائر، 2000م، ص 16.

[3] التلي بن الشيخ، دور الشعر الشعبي...، **مرجع سابق**، ص 386.

خصوصًا في أشكاله وأوزانه، مع الاحتفاظ بمقوماته وخصائصه الفنية، آخذاً كل عناصر الجمالية من اللغة العامية التي طوّعها[1]

ويرى رابح بونار أن الشعر الشعبي الذي وصل إلينا من شعراء الماضي ينقسم إلى قسمين: نوع الشعر البدوي، وهو فرع من الشعر الهلالي وله خصائصه وسماته، ونوع الشعر الحضري، وهو فرع من الموشحات والأزجال وله كذلك خصائصه ومميزاته[2] .

وكل قسم من هذين ينقسم بدوره الى أنواع فرعية[3]:

❖ **الشعر البدوي:**

- القول: شعر قصير مكثف الإيقاع، متنوع الموضوعات .
- النم: شعر وجداني يعبر عن الشكوى والحنين والفراق .
- القطاعة: أغاني سفر يرددها المسافر أثناء تنقله مع ذكر الأماكن والدوافع .
- الرثاء/المرثية: شعر حزين للتعبير عن فقدان الموتى وهو أقل انتشارا .

❖ **الشعر الحضري:**

- الحوزي: شعر غنائي عامي ذو أوزان خاصة تختلف عن الموشح والزجل .
- الحوفي: شعر نسوي غنائي تؤديه النساء في المناسبات والألعاب والأعمال اليومية، ويُرتبط بمدينة تلمسان .

[1] أحمد أمين، حيزية: **الملحمة الجزائرية القصة**، دار المصباح، ط1، 1991م، القصيدة، الجزائر، ص 8.

[2] رابح بونار، الشعر الشعبي وتطوره، مجلة آمال، ع 4، نوفمبر-ديسمبر 1969، ص 9.

[3] ريلي، نصيرة، **الشعر الشعبي الجزائري: الأصل والمصطلح**، مجلة أبوليوس، مج 9، ع 2، 2022م، ص 337.

- البوقالة: أشعار رباعية غزلية شعبية تُمارس غالبا في الجلسات النسوية الرمضانية وتغلب عليها رمزية الحب والحنين .

ب – الحكايات الشعبية:

إن التعريف بمصطلح الحكاية الشعبية أمر صعب تحقيقه، ويرجع هذا إلى التعريفات المتعددة والكثيرة للحكاية الشعبية كمصطلح عالمي، رغم وجود التقارب والتشابه بين هذه التعريفات،[1] حيث تقول نبيلة إبراهيم، والمعاجم الألمانية تعرفها بأنه الخبر الذي يتصل بحدث قديم ينتقل عن طريق الرواية الشفوية من جيل لآخر، أو هي خلق حر للخيال الشعبي ينسجه حول حوادث معينة وشخوص ومواقع تاريخية، أما المعاجم الإنجليزية فتعرفها بأنها حكاية يصدقها الشعب بوصفها حقيقة، وهي تتطور مع العصور وتتداول شفاها، كما أنها تختص بالحوادث التاريخية الصرف أو بالأبطال الذين يصنعون التاريخ، وعلى هذا فإن التعريفين يشتركان في أن الحكاية الشعبية قصة ينسجها الخيال الشعبي حول حدث مهم، وأن هذه القصة يستمتع الشعب بروايتها والاستماع إليها، إلى درجة أنه يستقبلها جيلا بعد جيل[2].

ويعرفها عبد الحميد بورايو بأنها: «أثر قصصي ينتقل مشافهة أساسا، يكون نثريا، يروي أحداثا خيالية لا يعتقد راويها ومتلقيها في حدوثها الفعلي، تنسب عادة لبشر أو حيوانات وكائنات خارقة، تهدف إلى التسلية وتزجية الوقت والعبرة"[3]

وتنقسم الحكاية الشعبية إلى: الحكاية الخرافية، الحكاية التعليمية، الحكاية الواقعية، الحكاية الوعظية، حكاية المعتقدات، الحكاية الرمزية، الحكاية البطولية[4].

من أهم السمات التي تتسم بها الحكاية الشعبية أنها ثمرة تفكير إنساني، وهي ليست عملا فرديا بذاته، بل من صنع الجماعة الإنسانية والمجتمع، وهي مجهولة المؤلف، وهي ليست ثمرة عقل مجنون أو

---

[1] أحمد صقر، **التراث الشعبي في المسرح العربي**، مركز الإسكندرية للكتاب، د ط، مصر، 1998م، ص 104.

[2] نبيلة إبراهيم، **أشكال التعبير في الأدب الشعبي**، دار غضة مصر، د.ت، القاهرة، ص 92.

[3] عبد الحميد، الأدب الشعبي الجزائري، **مرجع سابق**، ص 183.

[4] طلال حرب، **أولية النص**، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، 1419هـ _ 1999م، ص 141.

أفلت زمامه، بقدر ما هي عبقرية إنسانية استطاعت ابتكار شخصيات لا تنسى مثل السندباد وعلاء الدين وعلي بابا[1].

ج – المثل الشعبي

إن الأدب الشعبي غني بالمادة التراثية التي يمكن للباحث تقصيها والبحث في أغوارها، والأمثال الشعبية جزء من الأدب وضرب من ضروبه الإبداعية، وهي أيضا مجال زاخر بالقيم الحضارية والاجتماعية للشعوب.»[2]، والمثل أحد أشكال الأدب الشعبي وضرب من ضروبه، فهو «فكرة لأنه يلخص تجربة عاشتها جماعة، وطريقة تفكير لأنه يوضح نظرة الجماعة إلى ما يمر به من تجارب، وما يؤمن به من معتقدات»[3]

د – الأغنية الشعبية

تعتبر الأغنية الشعبية من أهم وسائل التعبير لدى المجتمعات الشعبية، ويعرفها الباحثون بأنها قصيدة شعرية ملحنة مجهولة الأصل، كانت شائعة في زمن ما وما تزال حية في الاستعمال.» [4]وهي تختلف عن غيرها.

من عناصر التراث كونها ارتبطت بالشعر والموسيقى، وقد ارتبطت الأغنية الشعبية بحياة الأفراد، فعبرت عن آمالهم وأفكارهم وعاداتهم، واتخذتها المجتمعات الشعبية وسيلة لإدخال البهجة والسرور[5].

---

[1] حسن عبد الحميد أحمد رشوان، **الفلكلور والفنون الشعبية**، المكتب الجامعي الحديث، د.ط، 1993م، ص 58.

[2] بولرباح عثماني، **دراسات نقدية في الأدب الشعبي**، الرابطة الوطنية للأدب الشعبي، ط1، الجزائر، 2009م، ص 64.

[3] طلال حرب، أولية النص، **مرجع سابق**، ص 142.

[4] لطفي الخوري، في علم التراث الشعبي، **مرجع سابق**، ص 17.

[5] لطفي الخوري، في علم التراث الشعبي، المرجع سابق، ص 17.

كانت الأغنية الشعبية حاضرة في الكثير من المناسبات، وعالجت عدة مواضيع، ومنها: الأعياد والمناسبات الدينية، حفلات الأعراس والميلاد والختان، والحرب والمآتم... إلخ[1]، وتختلف الأغاني باختلاف المناسبات، ولكل مناسبة أغانيها الخاصة بها، وأقدمها هي الأغاني الدينية التي ما تزال حاضرة وتردد في مختلف المناسبات[2].

[1] طلال حرب، أولية النص، **مرجع سابق**، ص 162.

[2] لطفي الحوري، في علم التراث الشعبي، **مرجع سابق**، ص 18

خلاصة الفصل:

خلص هذا الفصل إلى أن الذاكرة بمختلف مستوياتها، سواء كانت فردية أو جماعية أو شعبية، تمثل عنصرًا أساسيًا في تشكيل الوعي الإنساني وإعادة بناء الماضي. وقد تبين أن هذه الذاكرة لا تُختزل في مجرد استرجاع للأحداث، بل هي عملية ديناميكية تتداخل فيها الأبعاد النفسية والاجتماعية والثقافية. كما أظهر الفصل أهمية الرواية الشفوية باعتبارها مصدرًا تاريخيًا يسهم في سدّ الثغرات التي يتركها التاريخ المكتوب، رغم ما يعتريها من إشكالات تتعلق بالدقة والموضوعية، مما يستدعي إخضاعها للنقد والتحليل العلمي. ومن جهة أخرى، برز دور الموروث الشعبي، بمختلف أشكاله من شعر وحكايات وأمثال وأغانٍ، في حفظ الذاكرة الجماعية ونقلها عبر الأجيال، بما يضمن استمرارية الهوية الثقافية للمجتمعات. وبناءً على ذلك، يشكل هذا الإطار النظري أرضية أساسية للانتقال إلى الجانب التطبيقي من الدراسة، والذي سيتم من خلاله تحليل تجليات الذاكرة الشعبية في الواقع

الفصل الثاني :متليلي الشعانبة، السياق التاريخي والاجتماعي للمقاومة

المبحث الأول: الجغرافيا والتاريخ الموجز لمتليلي قبل الثورة

المبحث الثاني: البنية الاجتماعية والثقافية، عوامل التلاحم والمقاومة

المبحث الثالث: التراث الشعبي كأداة لتعزيز الهوية الوطنية

تمهيد:

يُعدّ تاريخ منطقة متليلي الشعانبة وسياقها الاجتماعي والثقافي قبل اندلاع الثورة التحريرية من العناصر الأساسية لفهم طبيعة المقاومة التي شهدتها المنطقة لاحقًا، إذ لا يمكن تفسير الفعل النضالي بمعزل عن البيئة الجغرافية والبنية الاجتماعية والرصيد التاريخي الذي تشكّل عبر قرون من التفاعل بين الإنسان والمجال.

وعليه، يسعى هذا الفصل إلى إبراز الخصوصية التاريخية والاجتماعية لمتليلي الشعانبة، من خلال تتبّع تطورها الجغرافي والتاريخي قبل الثورة، وتحليل بنيتها الاجتماعية والثقافية، ثم الوقوف عند دور الموروث الشعبي في تعزيز الهوية الوطنية وترسيخ قيم المقاومة. ويهدف هذا التحليل إلى الكشف عن العوامل العميقة التي ساهمت في بناء وعي جمعي مقاوم، جعل من المنطقة إحدى الفضاءات المهمة في الحراك الوطني الجزائري قبل 1954.

المبحث الأول: الجغرافيا والتاريخ الموجز لمتليلي قبل الثورة

تُعدّ الخصائص الجغرافية لمتليلي الشعانبة وموقعها الاستراتيجي في شمال الصحراء الجزائرية من العوامل التي أسهمت في تشكيل نمط حياتها الاجتماعي والاقتصادي، كما لعبت دورًا مهمًا في تحديد طبيعة العلاقات بين السكان والمجال المحيط بهم. فامتدادها الواسع، ومناخها الصحراوي، وارتباطها بمسارات الرعي والتجارة، كلها عناصر ساهمت في بناء نمط معيشة خاص قائم على التنقل والتكيف.

إلى جانب ذلك، فإن تاريخ المنطقة قبل الثورة التحريرية يكشف عن عمق انخراطها في مسار المقاومة الشعبية ضد الاستعمار الفرنسي، سواء في صورها المسلحة أو السياسية، مما يجعل دراسة هذا التاريخ مدخلًا ضروريًا لفهم تشكّل الوعي الوطني في متليلي وتطوره عبر الزمن.

أولا: الموقع الجغرافي:

متليلي الشعانبة هي من البلديات الجزائرية العريقة من حيث النشأة، وتقع في شمال الصحراء الجزائرية على خطي عرض 17°32 شمالاً وخطي طول 3°41 شرقاً، بارتفاع عن مستوى سطح البحر يُقدَّر بـ 525 م[1] وقد كانت تابعة لولاية الأغواط قبل أن تصبح إحدى بلديات ولاية غرداية سنة 1985، وهي تتربع على مساحة تُقدَّر بـ 7300 كلم، وتقع على بُعد 45 كلم من مقر الولاية، بينما تبعد عن الجزائر العاصمة بحوالي 650 كلم. وقد بلغ عدد سكانها 40576 نسمة سنة 2008م. ويتميّز مناخها بأنه صحراوي جاف، حار صيفًا، قليل الأمطار، وبارد شتاءً[2].

[1] P. Passager : **Metlili des Chaamba étude historique**, **géographique et médicale**/in/Archives de l'institut Pasteur d'Algérie, T : XXXVL 4, décembre 1958, p 513.

[2] الشيخ لكحل، **مقاومة منطقة متليلي الشعانبة للاستعمار الفرنسي (في الفترة ما بين 1851–1908م)**، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم العلوم الإنسانية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة جيلالي ليابس، سيدي بلعباس، السنة الجامعية: 1438–1439هـ / 2017–2018، ص 18.

أما منطقة متليلي الشعانبة محل الدراسة، فهي تشمل بلدية متليلي إضافة إلى البلديات المجاورة مثل: سبسب، المنصورة، حاسي الفحل، وزلفانة، وهي تشكّل ما يُعرف بدائرة متليلي الكبرى، أو ما كان يُعرف غداة الاستقلال بدائرة متليلي الشعانبة، والتي تمتد على مساحة تُقدَّر بحوالي 300 كلم طولاً و200 كلم عرضًا[1].

وقد كانت حدود هذه المنطقة تمتد إلى مناطق الرعي التي يرتادها رجال الشعانبة المرازقة، والتي تمتد من ضاية تيلغمت[2] شمالاً إلى آبار زيرارة جنوبًا، ومن وادي زلفانة شرقًا إلى ما وراء وادي زرقون غربًا[3]، وقد بدأت هذه المساحات في التقلّص منذ دخول القوات الفرنسية إلى المنطقة[4].

وتُعدّ منطقة تيلغمت من المناطق المهمة، إذ تبعد عن الأغواط بحوالي 90 كلم في الطريق نحو الجواب، وكانت ملتقى للقبائل الرعوية مثل الشعانبة وأولاد نايل والأرباع، نظرًا لتوفر المياه بها. وقد عملت سلطات الاحتلال على حفر الآبار فيها، كما قام الرحالة "مار فوريت" سنة 1895 ببناء خزان مائي عُرف بحوض مارلوريت، وكان الهدف من ذلك جعلها محطة توقف واستراحة للقوافل العسكرية المنطلقة من الأغواط نحو ميزاب أو ورقلة، انظر:

يقول كوناي: "إن وجود مقابر الشعانبة بمتليلي في مناطق سيدي الحاج الدين[5]، عقلة ديان، وحاسي منية، يدل على أنهم كانوا يرتادون هذه المناطق منذ زمن بعيد". وقد شعر شعانبة متليلي بالتذمر

---

[1] الشيخ لكحل، *مقاومة منطقة متليلي ...***مرجع سابق**، ص 18.

[2]Edgard Pothier : **Les Tumalus de la daia de Tilghemt**, In, Revue d'Ethnographie, Ernest Leroux, Paris 1886, T5, pp 301-303

[3] Henry Deverier : **Itinéraire de Metlili à Hassi Brghaoui et d'El-Golea'a à Metlili**/In/Bulletin de la Société de géographie, Librairie de Ch. Delagrave, Paris, S6, T2, Juillet-Décembre 1876, p580

[4] الشيخ لكحل، *مقاومة منطقة متليلي ...***مرجع سابق**، ص 19.

[5] A. Cauneille: **les chaambas leur Nomadisme**, **Edition du CNRS**, Paris 1968, p268.

من القرارات الإدارية الفرنسية التي حرمتهم من هذه المجالات، وكان الهدف منها تقوية تبعيتهم وولائهم لأولاد سيدي الشيخ[1].

وقد بعث أعيان متليلي برسالة احتجاج إلى سلطات الاحتلال بتاريخ 18 جانفي 1928، أوضحوا فيها أسباب أحقيتهم بهذه المناطق التي حُرموا منها، فقامت السلطات بمراجعة قراراتها وتعديلها، إلا أن ذلك تأخر حوالي ثلاثين سنة، حيث صدر مرسوم 20 مارس 1958 الذي منح شعانبة متليلي حق الاستفادة من وادي محيقن ووادي زرقون فقط[2] .

ويُعدّ وادي زرقون من أهم أودية المنطقة، إذ يقع غرب مدينة متليلي على بُعد حوالي 110 كلم، ويتميّز بتوفر المياه الناتجة عن فيضانه المتكرر، نظرًا لقربه من جبال الأطلس الصحراوي، مما جعله مجالاً خصبًا ترتاده القبائل الرعوية، خاصة شعانبة متليلي وأولاد سيدي الشيخ، لوقوعه بين متليلي وبرجية وسيدي الشيخ.ويضيف كونيي أن وادي زرقون ووادي محيقن يشكّلان حوضًا مائيًا مهمًا، حيث تتجمع فيه المياه القادمة من جبال القصور وعمور[3]

ثانيا: التاريخ الموجز لمتليلي قبل الثورة:

تعود جذور الحركة الوطنية في مدينة متليلي الشعانبة إلى مرحلة مبكرة ارتبطت أساسًا بسلسلة الثورات الشعبية التي خاضها الشعب الجزائري ضد الاحتلال الفرنسي منذ القرن التاسع عشر، حيث لم تكن المنطقة بمعزل عن هذه الدينامية النضالية، بل كانت من أهم الحواضن التي احتضنت المقاومة وساندتها بشريًا وماديًا. فقد انخرط سكانها، خاصة قبائل الشعانبة، في أولى الحركات المقاومة التي تمثلت في مقاومة الشريف محمد بن عبد الله (1851-1861) ، ثم ثورة محمد بن بوشوشة (1869-

[1] A. Cauneille : **Op**. **cit**, p95.

[2] الشيخ لكحل، مقاومة منطقة متليلي ...**مرجع سابق**، ص 20.

[3] A. Cauneille : Op. cit, p34 et. p242

1875)، التي اتخذت طابع حرب العصابات بمساندة سكان المنطقة، إضافة إلى ثورة الشيخ بوعمامة (1881-1904)[1] التي عرفت مشاركة قوية من أهالي متليلي، وهو ما يعكس تجذر الروح الجهادية لدى السكان واستمرارها عبر مختلف المراحل، إلى جانب انتفاضات أخرى مثل انتفاضة سليمان بن حمزة (1864-1867)[2]، مما يدل على أن المنطقة كانت فضاءً دائم الاشتعال ضد الوجود الاستعماري.

وقد لعب المسجد العتيق بمتليلي دورا مهما في دعم هذه الحركات، حيث لم يقتصر دوره على الجانب الديني، بل كان مركزًا علميًا وتعبويًا ساهم في نشر الوعي وتحفيز السكان على الانخراط في المقاومة، إذ عمل مشايخه على حشد المتطوعين وتوجيههم لمساندة الثوار، كما استجاب سكان المنطقة لنداءات القادة، خاصة عندما طلب الشيخ بوعمامة الدعم سنة 1881، فسارع الشعانبة لتلبية النداء تحت قيادة موالي إبراهيم قدور بن عمار، الأمر الذي جعل من المسجد العتيق قلعة حقيقية من قلاع المقاومة ومركزًا لإمداد الثورات بالرجال والدعم[3]

وفي سياق علاقة المنطقة بالاستعمار، شكّلت معاهدة الحماية المبرمة سنة 1853 نقطة تحول مهمة، حيث رفضها سكان متليلي واعتبروها وسيلة لفرض الهيمنة الاستعمارية، مما أدى إلى حالة من التوتر والاستنفار الدائم، تجسدت في حمل السلاح والمشاركة المستمرة في الثورات الشعبية ضد الاحتلال[4]، وهو ما ساهم في ترسيخ تقاليد المقاومة لدى السكان وتحويلها إلى سلوك جماعي متوارث.

ومع مطلع القرن العشرين، انتقل النضال في متليلي من الطابع العسكري التقليدي إلى العمل السياسي والتنظيمي، خاصة بعد تنامي النشاط الإصلاحي الذي قادته جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

---

[1] بكار الدهمة، صالح بوسليم، "**دور منطقة متليلي في الحركة الوطنية الجزائرية والتحضير للعمل المسلح ما بين 1938–1954**"، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، مج 13، ع 1، 2020م، ص 298.

[2] يحي بوعزيز، ***نظرة في الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين***، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، ط2، الجزائر، 1996م، ج1، ص 183.

[3] بكار الدهمة، صالح بوسليم، دور منطقة متليلي... **مرجع سابق**، ص 298.

[4] بكار الدهمة، **دور منطقة غرداية في الحركة الإصلاحية والوطنية الجزائري**(1945–1919) ، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، الجزائر، 2012م، ص 26.

سنة 1931، والتي لعبت دورًا كبيرًا في نشر الوعي الوطني ومحاربة سياسة التجهيل الاستعماري. وقد تزامن ذلك مع بروز النشاط الحزبي، حيث تأسست أول خلية لحزب الشعب الجزائري (PPA) في متليلي سنة 1938، وضمت نخبة من المناضلين الذين سعوا إلى تعبئة السكان ونشر الفكر الاستقلالي، من بينهم سي المصطفى، موالي إبراهيم عمار، عبد القادر الوذان، ومحجوب محمد وغيرهم،[1] وقد استمر هذا النشاط في إطار حركة انتصار الحريات الديمقراطية(MTLD) ، التي ساهمت في توسيع القاعدة النضالية وتعميق الوعي السياسي[2]

كما اتخذت الخلايا السياسية من القصر القديم بمتليلي مقرًا لها، حيث كانت تعقد اجتماعاتها الدورية وتناقش المستجدات، وتعمل على نشر الوعي الوطني وتحذير السكان من سياسات الاستعمار القائمة على التفرقة، كما ساهمت في توحيد الصفوف وتوجيه طاقات المجتمع نحو مقاومة الاحتلال[3]. ولم يقتصر النشاط على الجانب السياسي، بل امتد إلى التحضير للعمل المسلح، حيث عرفت المنطقة تنظيم شبكات لتهريب السلاح وتخزينه عبر المسالك الصحراوية، خاصة بين سنتي 1946 و1953، مستفيدة من بقايا أسلحة الحرب العالمية الثانية[4]، وهو ما أدى إلى انتشار السلاح بين السكان.

وقد تجسدت هذه الاستعدادات في محاولات أولية للعمل المسلح، مثل انتفاضة سنة 1943 بمنطقة الشبكة، التي قادها بعض المجندين الجزائريين ضد التجنيد الإجباري[5]، حيث تمكنوا من تنفيذ عمليات مسلحة رغم فشلها لاحقًا بسبب ضعف التنظيم، كما ساهمت مجازر 8 ماي 1945 في رفع

---

[1] بكار الدهمة، صالح بوسليم، دور منطقة متليلي...، مرجع سابق، ص 300.

[2] ابو قاسم سعد الله، **خلاصة تاريخ الجزائر: المقاومة والتحرير1962–1830)** ، دار الغرب الإسلامي،ط1، 2007م، ص 141.

[3] بكار الدهمة، صالح بوسليم، دور منطقة متليلي... ، مرجع سابق، ص 302.

[4] محمد عبد الحليم بيشي، **تطور الثورة الجزائرية بغرداية**، مذكرة ماجستير في تاريخ الثورة، تحت إشراف د. حباسي شاوش، قسم التاريخ، جامعة الجزائر 2، ص 33.

[5] محمد جبريط على مدارج، **النضال والثورة خطوات وذكريات 1947 1964**، ار صبحي للطباعة والنشر، ط1، متليلي – غرداية، الجزائر 2015م، ص 44.

مستوى الوعي الوطني وزيادة العداء للاستعمار، حيث بلغ عدد حاملي السلاح في المنطقة حوالي 150 مناضلًا في منتصف الأربعينيات، وهو ما يعكس درجة الاستعداد لخوض الكفاح المسلح[1]

وبفضل هذا التراكم النضالي، سواء في شكله العسكري أو السياسي أو التنظيمي، أصبحت متليلي قبيل اندلاع الثورة التحريرية منطقة مهيأة لخوض غمار الكفاح المسلح، حيث تشكلت فيها بنية نضالية متكاملة تجمع بين الوعي السياسي، والتنظيم الحزبي، والاستعداد العسكري، مما جعلها إحدى القلاع المهمة التي ساهمت في تمهيد الطريق لثورة الفاتح نوفمبر 1954.

المبحث الثاني: البنية الاجتماعية والثقافية، عوامل التلاحم والمقاومة

تتميز البنية الاجتماعية في متليلي الشعانبة بطابع قبلي معقد يقوم على الانتماء العشائري وتعدد الفروع الاجتماعية، وهو ما أفرز نظامًا اجتماعيًا متماسكًا يقوم على التضامن والتكافل بين أفراده. وقد أسهم هذا التنظيم في تعزيز الروابط الداخلية وتقوية القدرة على الصمود في مواجهة مختلف التحولات التاريخية، خاصة خلال فترة الاستعمار.

أما على المستوى الثقافي، فقد شكّل المسجد العتيق والمؤسسات الدينية التقليدية محورًا أساسيًا في تشكيل الوعي الديني والمعرفي للسكان، إلى جانب تأثير الزوايا والرحلات العلمية والعلاقات الثقافية مع المناطق المجاورة. ومن هنا، فإن دراسة هذه البنية تكشف عن الدور العميق الذي لعبته الثقافة في بناء الوعي المقاوم وترسيخ الهوية الجماعية.

أولا: البنية الاجتماعية لمتليلي الشعانبة

تقوم البنية الاجتماعية لدى شعانبة متليلي على تنظيم قبلي معقّد يتأسس على تقسيمات عروشية واضحة، حيث يُعدّ عرش العالية بزرقة'' أو ''البوارقة'' من أبرز وأقوى الفروع، ويضمّ مجموعات من

[1] بكار الدهمة، صالح بوسليم، دور منطقة متليلي... ، **مرجع سابق**، ص 33.

الرجال الفرسان[1] وينقسم إلى ثلاثة عروش كبرى تتفرع بدورها إلى فرق وعائلات متعددة، بما يعكس طبيعة التنظيم الاجتماعي القائم على الانتماء العشائري والامتداد الأسري. ويتفرع عرش أولاد علوش إلى ثماني فرق من بينها التوامر، المهاجرة الشلق، أولاد إبراهيم، أولاد موسى، أولاد عيسى بن موسى، وعميرات، [2]ويُعد هذا العرش الأكبر من حيث العدد، كما يغلب عليه الطابع البدوي، إذ لا يقيم في القصر أو الواحة إلا عدد قليل من أفراده. أما عرش أولاد عبد القادر فيضم عدداً من الفرق مثل أولاد حبيش، السوابع، العوامرة، العمارة، وأولاد عمر[3]، وهو عرش يتشابه مع أولاد علوش في طابعه البدوي وتوزيع سكانه. في المقابل، يُمثل عرش القصيرة الشمي البعد الحضري داخل المجتمع الشعاني، ويتكون من خمس فرق، من بينها أولاد إسماعيل بن مرزوق بن إبراهيم المرابطي والشرفة[4]، إلا أنه رغم طابعه الحضري فإن عدده يبقى أقل مقارنة بالعرشين الآخرين، حيث لا يتجاوز في أفضل الحالات ربع سكان شعانبة متليلي، كما يضم هذا العرش عناصر حديثة الانضمام مثل الشرقة والمرابطين القادمين من المغرب وبني مرزوق من تونس وعائلات ميزابية قدمت من مليكة خلال القرن الرابع عشر[5]

كما عرفت البنية الاجتماعية لمتليلي وجود فئات ذات أصول مختلفة، من بينها عائلات إفريقية الأصل كان أجدادها عبيداً، غير أنهم اندمجوا تدريجياً داخل المجتمع الشعاني بعد زوال مظاهر الرق، حيث انضموا إلى العائلات التي كانوا يخدمونها سابقاً وأصبحوا جزءاً من بنيتها العائلية والقبلية. وإلى جانب ذلك، برزت فرقة أولاد سيدي الشيخ التي ظهرت نواتها الأولى في متليلي منذ أواخر القرن السادس عشر، وتميزت بمكانتها الروحية والدينية، الأمر الذي جعلها تحتفظ بنوع من الاستقلال داخل البنية

[1] P. Vellard: Le Sahara: **Mission et Histoire**, **Manus**., **CCDS Ghardaïa**, Cote: 0007000144, f. 30.

[2] Auguste Cauneille: **Les Chaamba**, **leur nomadisme**, Ed. du CNRS, Paris, 1968, p. 42.

[3] A. Emé: **Monographie sur Metlili**, **Manus**., CCDS - Ghardaïa, Cote: 01920007, f. 10.

[4] Auguste Cauneille: Op. cit., p. 45.

[5] Ibid., p. 22.

العشائرية العامة[1] وبذلك، يتضح أن المجتمع الشعاني في متليلي قد تشكّل في صورة فسيفساء اجتماعية متعددة الأصول، لا تقوم على الانتماء العرقي أو اللون بقدر ما تقوم على الانتماء القبلي والاندماج الاجتماعي[2]، مع وحدة اللغة العربية والمذهب المالكي كإطار جامع. ويشير بعض الباحثين إلى أن اللغة العربية كانت اللغة السائدة في متليلي، وتمتاز بقربها من العربية الفصحى مع بعض التأثيرات المحلية[3]، غير أن الاحتكاك بالعنصر الأمازيغي ترك بصماته في عدد من المفردات المتداولة خاصة في مجالات الزراعة والحياة اليومية، إضافة إلى بعض التسميات الجغرافية ذات الأصل البربري التي ما تزال مستخدمة إلى اليوم، ويُفسَّر ذلك بامتزاج السكان عبر مراحل تاريخية مختلفة واستقرار قبائل سابقة في المنطقة قبل تشكل المجتمع الشعاني بصورته الحالية[4].

وتعكس هذه البنية الاجتماعية أيضاً قيمة الانتماء إلى شعانبة متليلي، لقد أصبح الانتماء إلى شعانبة متليلي شرفاً يسعى إليه من هو خارج القبيلة، ويتفاخر به المنتسب إليها. ويقول باساجي (Passager)إن: "الشعانبي متفاخر بنسبه، كما أنه لا يرضى امتهان المهن الحقيرة مثل خدمة الأرض؛ إذ يعتبرها من أعمال العبيد، بينما يتحمس للقيام بأعمال البطولة والشجاعة المتعلقة بحمل السلاح"[5]

ويصف رينييه (Regnier) الشعانبة بقوله: "الشعانبة لا يدفعون العربات ولا يجمعون الروث... إنهم لا يحبذون القيام بأي عمل كان فيما مضى من اختصاص العبيد، إنهم شعب الأسياد والمحاربين، لا يقدرون سوى أن يقودوا أو يحاربوا"[6]

---

[1] الشيخ لكحل، مقاومة منطقة متليلي... ، **مرجع سابق**، ص 28.

[2] UNESCO : **Nomades et Nomadisme au Sahara**, Imprimerie R. Oldenbourg, Munich, 1963, p. 36

[3] A. Emé: **Monographie sur Metlili**, **Manus**., CCDS - Ghardaïa, Cote: 01920007, f. 11.

[4] الشيخ لكحل، مقاومة منطقة متليل...، **مرجع سابق**، ص 29

[5] P. Passager: Op. cit., p. 527.

[6] Yves Régnier: Op. cit., p. 168.

إن أهم ما يميز الشعانبة هو الشجاعة والحرية والكرم، فيصفهم دوماس (Eugène Daumas) بقوله: "الشعانبة يحبون الغناء والموسيقى والنساء والبارود، وقبل كل شيء الاستقلال"[1]. ويقول الشعانبي الذي التقاه دوماس في باريس سنة 1851م: "نحن لا ندفع ضرائب لأحد ولا يتحكم فينا أي سلطان أو حاكم... أنتم هنا تقدمون الضيافة مقابل المال، أما عندنا فنقري الضيف بلا مقابل، بل نعمل على خدمته وإسعاده"[2]

أما من حيث التنظيم الداخلي، فقد كان المجتمع يخضع لسلطة شيخ القبيلة الذي يتمتع بصلاحيات واسعة تشمل إدارة الشؤون الاجتماعية والقبلية، ويتم اختياره بناءً على الكفاءة والقدرة المادية والمعنوية، وليس على أساس الوراثة، مع ضرورة أن يكون مستقلاً عن الإدارة الاستعمارية، رغم إمكانية اعتراف السلطة الاستعمارية به مقابل التزامه بجباية الضرائب وتسيير شؤون القبيلة[3]

ثانيا: البنية الثقافية لمتليلي الشعانبة

تميّزت البنية الثقافية في متليلي الشعانبة خلال الفترة موضوع الدراسة بطابع ديني تقليدي ارتكز أساسًا على المسجد العتيق باعتباره المؤسسة العلمية والثقافية الوحيدة في القصر، حيث كان يمثل مركزًا لتعليم القرآن الكريم وعلوم التفسير والحديث النبوي، إضافة إلى تدريس المتون الفقهية وبعض الأوراد ذات الطابع الصوفي، مما جعل منه فضاءً جامعًا بين التعليم الديني والتنشئة الروحية. وقد كان الإشعاع العلمي لهذا المسجد مرتبطًا أساسًا بسكان القصر والواحة، في حين أن فئة الشعانبة الرحل، وهي الفئة الأكبر

[1] Eugène Daumas: **Le Sahara Algérien**, Dubos Frères, Alger, 1845, p. 314.

[2] Eugène Daumas: **Mœurs et coutumes de l'Algérie**, Librairie de L. Hachette et Cie, Paris, 1853, p. 123.

[3] P. Passager: Op. cit., p. 527.

عددًا، كانت تعتمد على معلمين متنقلين يرافقونها في ترحالها لتعليم الأبناء القرآن الكريم داخل المخيمات والمضارب[1]، وهو ما يعكس خصوصية التكوين الثقافي المرتبط بطبيعة الحياة البدوية.

كما تأثر المشهد الثقافي في متليلي بعلاقاتها مع محيطها الجغرافي، خاصة المناطق الجنوبية مثل ورقلة، عين صالح، توات وقورارة، حيث كان النشاط التجاري وسيلة للتبادل الثقافي، إذ كان السكان يستقدمون المشايخ ومعلمي القرآن من هذه المناطق، أو يرسلون أبناءهم للدراسة في زواياها العلمية التي اشتهرت بالطرق الصوفية مثل السنوسية والقادرية والشيخية[2]. غير أن هذا النمط الثقافي التقليدي بدأ يشهد تحوّلًا تدريجيًا مع مطلع القرن العشرين، خاصة بعد سنة 1940، حين بدأ السكان يرسلون أبناءهم إلى مؤسسات تعليمية إصلاحية خارج المنطقة، لاسيما مدارس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، أو إلى جامع الزيتونة بتونس،[3] مما ساهم في بروز وعي فكري جديد أكثر انفتاحًا على التيارات الإصلاحية ومناهضًا لهيمنة الطرقية التقليدية.

ورغم بساطة المستوى الثقافي السائد، خاصة لدى الفئات البدوية، فإن المجتمع المحلي اتسم بقدر من الوعي والتمييز بين الصلاح الحقيقي والدعوى الدينية الشكلية، إذ كان السكان يولون احترامًا كبيرًا لمن يظهر بمظهر التدين والصلاح، ويمنحونه ألقابًا ذات دلالة دينية واجتماعية مثل ''الطالب'' و''المرابط'' و''سيدي''، وهو ما ساهم في ترسيخ نفوذ الرموز الدينية داخل المجتمع[4]. غير أن هذا الاحترام لم يكن مطلقًا، إذ أظهر سكان متليلي قدرة على التمييز بين الصالح الحقيقي والمتستر بالدين لتحقيق مصالح شخصية، وهو ما يعكس وجود وعي اجتماعي نسبي رغم الطابع التقليدي للمجتمع.

---

[1] الشيخ لكحل، مقاومة منطقة متليلي... ، مرجع سابق، ص 75.

[2] محمد الصالح حوتية، **توات والأزواد**، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2007م، ج1، ص 178.

[3] Charles Kleinknecht, **Mis à jour de la Monographie de l'Annexe de Ghardaïa et du Poste de Metlili**, p 21.

[4] الشيخ لكحل، مقاومة منطقة متليلي... ، **مرجع سابق**، ص 76.

وفي السياق نفسه، لم تتمكن الطرق الصوفية ذات الولاء الاستعماري من التغلغل القوي داخل متليلي، نتيجة الحس الوطني والرفض الشعبي لأي توظيف ديني يخدم الاستعمار الفرنسي، حيث عُرف السكان بمواقفهم الحازمة تجاه بعض الزعامات الدينية التي اتهمت بالمهادنة، مثل ما حدث مع بعض أتباع أولاد سيدي الشيخ، الذين تحول ولاؤهم نحو الشيخ بوعمامة خلال القرن التاسع عشر. كما أبدى السكان موقفًا حذرًا تجاه البعثات التبشيرية مثل "الآباء البيض"، الذين تم رفضهم بعد اكتشاف أهدافهم الحقيقية، مما يعكس صلابة البنية الثقافية في مواجهة الاختراق الاستعماري[1].

وقد أسهم هذا المناخ الثقافي والديني في جعل متليلي أرضًا خصبة لانتشار الدعوات الجهادية والثورات الشعبية، حيث وجد القادة الدينيون والزعماء الروحيون، مثل الشريف بوشوشة والشريف بن عبد الله، دعمًا واسعًا من السكان الذين كانوا يتبعونهم ويؤمنون بدورهم الإصلاحي والجهادي، وهو ما يعكس تداخل البنية الثقافية مع البنية النضالية في تشكيل الوعي الوطني المبكر في المنطقة[2].

المبحث الثالث: التراث الشعبي كأداة لتعزيز الهوية الوطنية

يُعدّ الموروث الشعبي من أهم الركائز الأساسية التي تقوم عليها هوية الشعوب، إذ يُمثّل مرآةً عاكسةً لتراثها الحضاري، ويُعبّر بصدق عن شخصيتها الجماعية، كما يضمن استمراريتها عبر مختلف الحقب الزمنية، من خلال ما يتضمنه من عادات وتقاليد وأعراف ومعتقدات شعبية متجذّرة في عمق المجتمع.

فهو لا يقتصر على كونه مجرد ماضٍ ثقافي، بل يُجسّد حياة الإنسان في أبعادها المتعددة، الاجتماعية منها والنفسية والأخلاقية والحياتية العامة، "باعتباره محصلة تراكمية للثقافة الشعبية منذ أقدم العصور، والتي واكبت تاريخ الشعوب وسايرت تطورها وتنوّع مظاهر حياتها. ومن هذا المنطلق، فإن التراث الشعبي يضطلع بدور محوري في الحفاظ على دعامة الأصالة، دون أن يشكّل عائقًا أمام المعاصرة،

[1] الشيخ لكحل، مقاومة منطقة متليلي... ، **مرجع سابق**، ص 76.

[2] نفسه، ص 76.

بل إنه يتفاعل معها ويُعيد إنتاج ذاته في ضوء التحولات الحديثة، الأمر الذي يجعله في جوهره التعبير الأصدق عن التراث الروحي للأمة "[1].

كما يُمثّل الموروث الشعبي الركيزة الأساسية التي تقوم عليها الهوية الوطنية والقومية، إذ يُجسّد كيان الأمة بمختلف أبعاده الثقافية والحضارية، ويعكس مخزونها الفكري والروحي المتوارث عبر الأجيال. فهو ذلك الرصيد الثقافي المتنوع الذي تناقلته الأجيال، متضمّنًا القيم الدينية والتاريخية والحضارية، فضلًا عن الممارسات الاجتماعية المرتبطة بالعادات والتقاليد. وبذلك، "تغدو الثقافة الشعبية بمثابة الإطار الجامع لكل أشكال الإبداع الإنساني داخل المجتمع، سواء تعلّق الأمر بالإنتاج الفني أو بالسلوكيات أو بالأفكار والمعتقدات، التي تنعكس في اللغة والتقاليد والأعراف، لتشكّل في مجموعها بطاقة التعريف الأصلية"[2] التي تميّز كل شعب عن غيره وتبرز خصوصيته الحضارية.

يعتبر الدور الذي يلعبه الموروث الشعبي في تعزيز الهوية الوطنية والقومية عظيم وذا اهمية، حيث يحافظ على مقوماتها الأساسية، باعتباره سجلًا فكريًا وثقافيًا يوثّق مسار الأمة، ويُجسّد استمراريتها التاريخية، كما يُسهم في ترسيخ روح الانتماء الجماعي، ويعزّز الوعي بالذات الحضارية في مواجهة مختلف التحديات الثقافية المعاصرة.

وفي هذا السياق، يُشكّل الموروث الشعبي جزءًا لا يتجزأ من البنية الثقافية للشعوب، على اختلاف هوياتها وأجناسها، إذ يُعبّر عن ماضيها ويعكس حاضرها، ويسهم في استشراف مستقبلها، من خلال تحديد ملامحها المميزة التي تفصل بينها وبين غيرها من الأمم. فهو الوعاء الحضاري الذي تختزن فيه

[1] إسماعيل عبد الفتاح عبد الكافي، **موسوعة مصطلحات الطفولة: اجتماعية، إعلامية، تربوية، نفسية**، مركز الإسكندرية للكتاب، القاهرة، د.ط، د ت، ص 83.

[2] أحسن تليلاني، **المسرح الجزائري: دراسات تطبيقية في الجذور التراثية وتطور المجتمع**، دار التنوير، ط1، الجزائر، ص 12.

المجتمعات مختلف ممارساتها وطقوسها وشعائرها وأعرافها وقيمها، بما يضمن استمرارية وجودها وبقاءها الحضاري، ويُتيح لها الانطلاق نحو آفاق أرحب من التقدم والنهضة في مختلف مجالات الحياة الإنسانية[1].

كما يُعدّ الموروث الشعبي سجلًا حيًا لذاكرة الشعوب، وقوامها الثقافي الذي يعكس عمق تجربتها التاريخية، لما يتسم به من ثراء وتنوع في أشكال التعبير التي تُجسّد مشاعر العامة وتُترجم أحاسيسهم في مختلف المواقف والظروف. وتبرز أهمية هذا الموروث في كونه يجمع بين المادي واللامادي، حيث تختزن المأثورات الشعبية مختلف أبعاد الإرث الحضاري، وتُبرز الخصائص القومية والملامح الوطنية التي تميّز كل مجتمع عن غيره "[2]. وتتجلى هذه الوظيفة بوضوح في أشكال التعبير الشعبي المختلفة، وعلى رأسها الأغنية الشعبية، التي تُعدّ من أصدق الوسائل التعبيرية عن واقع المجتمع، نظرًا لارتباطها الوثيق بحياة الناس اليومية، وتجسيدها لعاداتهم ، وتقاليدهم، وأعرافهم. فهي إبداع جماعي تلقائي، ينبع من وجدان المجتمع، وقد لعبت دورًا بارزًا في التعبير عن تمسّك الشعب الجزائري بأرضه وهويته، ورفضه للوجود الاستعماري، كما أسهمت في إثارة الوعي الجماهيري وتعزيز روح التضامن والتكافل بين أفراده. ولا يقلّ الشعر الشعبي أهمية عن ذلك، إذ كان وسيلة فعّالة في إذكاء روح المقاومة، وبعث الحماس في نفوس المناضلين، حيث أسهم بشكل مباشر في دعم الحركات الثورية وتعزيز العمل النضالي[3]

ومن خلال ذلك، يتضح أن الأغنية الشعبية لم تكن مجرد وسيلة ترفيهية، بل أداة نضالية فعّالة، أسهمت في تعبئة الجماهير، ونشر الوعي الثوري، والدعوة إلى الوحدة الوطنية والتجنيد من أجل تحقيق الحرية والاستقلال. كما تُعدّ الأمثال الشعبية من أبرز تجليات الموروث الشعبي، إذ تعبّر عن خلاصة

[1] أسامة مهملي، صالحي آمال،"**الموروث الشعبي والهوية الوطنية: دراسة في ماهية المأثورات الشعبية**"، مجلة المعيار، مج 28، ع 1، 2024م، ص 449.

[2] عبد الحميد يونس، **دفاع عن الفلكلور**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، د.ط، 1973م، ص 45.

[3] أسامة مهملي، صالحي آمال،الموروث الشعبي...، مرجع سابق، ص 450.

التجربة الإنسانية للمجتمع، وتُبرز منظومته القيمية والأخلاقية والاجتماعية، وتسهم في ترسيخها عبر التداول اليومي، مما يجعلها دالةً واضحة على عمق التراث الحضاري[1] .

أما الحكايات الشعبية، فتُمثّل جانبًا مهمًا من الثقافة الروحية والحياتية، إذ تحمل في طياتها دلالات تاريخية واجتماعية عميقة، تعكس تصورات المجتمع ورؤيته للعالم. في حين تُعدّ النوادر (النكات) شكلًا من أشكال التعبير الشعبي الذي يجمع بين الترفيه والنقد، حيث تُعبّر بطريقة ساخرة عن مختلف الظواهر الاجتماعية والسياسية. وقد استطاع الإنسان الشعبي من خلال هذه الأشكال التعبيرية أن يختصر تجاربه الحياتية، ويُخزّنها في ذاكرته الجماعية، ليستحضرها عند الحاجة[2]. وينطبق الأمر ذاته على السير الشعبية والملاحم، التي تُجسّد البطولات والقيم والمثل العليا، وتعكس في مجملها الطابع القومي للأمة

وخلاصة القول، إن الموروث الشعبي لا يُمثّل مجرد مخزون ثقافي جامد، بل هو كيان حيّ ومتجدّد، يُجسّد روح الأمة وذاكرتها التاريخية، ويُعدّ شاهدًا على حضارتها وامتدادًا لأصالتها. ومن خلاله تُقاس قيمة الشعوب ومكانتها الثقافية، لكونه يشكّل قوة فاعلة تمنحها القدرة على الاستمرار والتكيّف مع مختلف التحولات، كما يُعدّ خط الدفاع الأول عن الهوية الوطنية والجذور الحضارية، بما يحمله من قيم وأبعاد رمزية تضمن تماسك المجتمع واستمراريته عبر الزمن.

[1] فوزي قديح، **الأمثال الشعبية الفلسطينية**، دار علاء الدين، دمشق، 1995م، ص 8.

[2] أكرم قانصو، **التصوير الشعبي العربي**، عالم المعرفة، د.م، د.ط، 1995م، ص 12.

خلاصة الفصل:

يتضح من خلال هذا الفصل أن منطقة متليلي الشعانبة لم تكن مجرد فضاء جغرافي، بل كانت حاضنة تاريخية واجتماعية وثقافية ساهمت في بلورة الوعي الوطني والمقاومة ضد الاستعمار الفرنسي. فقد لعب الموقع الجغرافي دورًا في تشكيل نمط الحياة، بينما أسهم التاريخ النضالي في ترسيخ تقاليد المقاومة، كما عززت البنية الاجتماعية والثقافية من تماسك المجتمع وقدرته على الصمود.

كما بيّن الفصل أن التراث الشعبي كان عنصرًا فاعلًا في بناء الهوية الوطنية، من خلال دوره في نقل القيم وتعزيز الانتماء وتعبئة الوعي الجماعي. وبذلك، فإن تداخل هذه الأبعاد الثلاثة (الجغرافيا، الاجتماع، الثقافة) يفسر إلى حد كبير خصوصية متليلي الشعانبة كمنطقة كان لها حضور مهم في سياق المقاومة الوطنية الجزائرية قبل اندلاع ثورة نوفمبر 1954

الفصل الثالث: مساهمات متليلي في الثورة التحريرية (1954-1962) عبر الذاكرة الشفوية

المبحث الأول: التنظيم الثوري والعمل الفدائي في المنطقة متليلي

المبحث الثاني: الأحداث والمعارك الرئيسية كما ترويها الروايات الشفوية

المبحث الثالث: دور المرأة الشعانبية والفئات الاجتماعية الأخرى

تمهيد:

يُعدّ التاريخ الشفوي من أهم المصادر التاريخية التي أسهمت في إعادة بناء أحداث الثورة التحريرية الجزائرية، خاصة في المناطق التي عرفت نقصًا في الوثائق المكتوبة أو تعرضت أرشيفاتها للتلف والضياع بفعل الظروف الاستعمارية. وقد مكّنت الشهادات الشفوية للمجاهدين والسكان من حفظ جانب مهم من الذاكرة الوطنية، بما تتضمنه من تفاصيل دقيقة حول التنظيم الثوري، وأساليب المقاومة، والمعاناة اليومية التي عاشها الشعب الجزائري خلال فترة الكفاح التحرري. كما تبرز أهمية الرواية الشفوية في الكشف عن الأدوار التي أدتها المناطق الداخلية والصحراوية، والتي غالبًا ما لم تحظَ بالاهتمام الكافي في بعض الدراسات التاريخية، رغم مساهمتها الفعلية في دعم الثورة سياسيًا وعسكريًا ولوجستيًا.

وفي هذا السياق، تبرز منطقة متليلي باعتبارها إحدى المناطق الصحراوية التي كان لها حضور فعّال في مسار الثورة التحريرية بين سنتي 1954 و1962، سواء من خلال احتضان التنظيمات السرية، أو دعم المجاهدين، أو المشاركة في العمليات الثورية المختلفة. ويهدف هذا الفصل إلى إبراز مساهمات متليلي اعتمادًا على الروايات الشفوية والذاكرة الجماعية، من خلال دراسة التنظيم الثوري والعمل الفدائي بالمنطقة، واستعراض أبرز الأحداث والمعارك كما حفظتها شهادات المجاهدين والسكان، إضافة إلى تسليط الضوء على دور المرأة الشعانبية ومختلف الفئات الاجتماعية في دعم الثورة. ومن خلال ذلك، يسعى الفصل إلى إبراز مكانة متليلي ضمن التاريخ الوطني، والتأكيد على أهمية الذاكرة الشفوية في توثيق نضالات الشعب الجزائري والحفاظ على الهوية الوطنية.

المبحث الأول: التنظيم الثوري والعمل الفدائي في المنطقة متليلي

شهدت الناحية توقفًا في التحضيرات للعمل المسلح عقب اكتشاف المنظمة الخاصة (O.S) بتاريخ 18 مارس 1950، على إثر حادثة تبسة الشهيرة، حيث أُوقف النشاط الإعدادي، وتعرض عدد من المناضلين للاعتقال، من بينهم: الحاج علال بن بيتور، وجبريط محمد، والحاج أعمر إبراهيم بلعيد من متليلي، وبوخشبة بوعمامة بالمنيعة. وقد شكّل ذلك ضربة قوية للتنظيم السري بالمنطقة، على غرار ما حدث في باقي المناطق الشمالية، غير أن النشاط السياسي استمر في كنف السرية التامة، إلى أن تمكنت الخلايا من إعادة ربط الاتصال بالجهات الشمالية والجنوبية في شهر أفريل سنة 1953م[1]

وفي سياق آخر، واجهت قيادة اللجنة المركزية لحزب الشعب، التي أصبحت تُعرف بحركة انتصار الحريات الديمقراطية، أزمة داخلية حادة مست قاعدتها الشعبية، وأسفرت عن انقسام الحزب خلال خريف سنة 1953م،[2] مما أدى إلى حالة من التمزق والتفكك في المناطق الشمالية. ورغم هذه الأوضاع، شهد الجنوب توسعًا ملحوظًا في نشاط الحركة، حيث تم إنشاء خلايا تنظيمية جديدة، من بينها خلية متليلي التي قادها مصطفى مصطفى، وعبد القادر الوذان، وعبد الله بن ولهة. كما عرفت مدينة غرداية بدورها نشاطًا مماثلًا من خلال تشكيل خلايا على مستوى الأحياء، ضمت كلًا من بوحميدة محمد، ومحمد جبريط، وحوتية الجيلالي تربغرداية، إضافة إلى بالعطف لخضر رزاق ومحمد الهامل، وقد أشرف على القسمة آنذاك الحاج عمر إبراهيم، وبن ولهة مسعود[3]

ترجع أصول هذه الفروع والخلايا الثورية إلى سنة 1947م، وهو تاريخ إنشاء المنظمة الخاصة (O.S)، حيث بادر بعض أعضائها إلى الاتصال المبكر بمنطقة متليلي، من بينهم محمد عبد العزيز

---

[1] بكار الدهمة، صالح بوسليم، دور منطقة متليلي... ، **مرجع سابق**، ص 312.

[2] عبد الوهاب بن خليف، **تاريخ الحركة الوطنية من الاحتلال إلى الاستقلال**، دار طليطلة، ط1، الجزائر، 2009م، ص 180.

[3] بكار الدهمة، صالح بوسليم، دور منطقة متليلي...، **مرجع سابق**، ص 313.

وعمر بن محجوب، كما أُسندت مهمة البحث عن المخابئ وأماكن التدريب داخل شبكة متليلي سنة 1949 إلى المناضل عرابي الحاج، المعروف بلاجودان مختار وخلال الجولة الاستطلاعية الثانية التي شهدتها المنطقة، والتي قام بها أحمد عبد الرزاق، المدعو سي الحواس، في حدود سنة 1952، تم انتقاء كل من مركز واد الطويل بالمنصور ومنطقة إفران كمواقع مخصصة للتموين والتخزين، إضافة إلى اتخاذها كمخابئ ومراكز لإيواء المناضلين. كما شدد سي الحواس على ضرورة الإبقاء على ناحية الشبكة كقاعدة خلفية للدعم اللوجستي لفائدة المناطق الشمالية، نظرًا لصعوبة مباشرة العمل المسلح بها نتيجة ندرة الغطاء النباتي، وتباعد المراكز، وقسوة الظروف المناخية[1] .

وفي إطار إعادة ربط اتصالات الناحية بالمناطق الشمالية والجنوبية، توجه المناضل كديد البشير إلى الجزائر العاصمة، حيث يذكر المجاهد مولاي إبراهيم محمد، المدعو السياسي، أنه أدى اليمين وتعهد بالقسم في مارس 1953 أمام المسؤول عن النشاط الثوري بالعاصمة، على مستوى ناحية القصبة، السيد بوسجة رابح. كما التحق كل من أقاسم عبد العزيز، وإسماعيل أحمد، وبن خليفة بحوص بناحية بشار لنفس الغرض. وفي السياق ذاته، برز نشاط المناضل بريهمات، المعروف بقنبار محمد، في جلب وشراء الأسلحة من ليبيا، حيث تمكن من إدخال مئات القطع إلى متليلي أواخر سنة 1954، كما ساهم في هذا المسعى كل من بهاز محمد بن جلول (الضابط)، وكتيلة عبد القادر، وبلعور مختار، من خلال ربط الاتصال بين منطقة متليلي والناحية الشرقية للأوراس.

وقد تعززت الصلات بين منطقة متليلي والعاصمة الجزائرية إثر إبعاد المناضل مولاي عمار إبراهيم من متليلي سنة 1948، بسبب نشاطه في تكوين فوج من الطلبة بالمسجد العتيق لتعليم اللغة العربية، وهو النشاط الذي لقي معارضة من طرف الحاكم الفرنسي وقايد البلدة آنذاك. وبعد انتقاله إلى العاصمة، تولى الإشراف على تشكيل الخلايا السرية الفدائية هناك، كما عمل على ربط هذا التنظيم

[1] بكار الدهمة، صالح بوسليم، دور منطقة متليلي...، مرجع سابق، ص 314.

بمنطقة متليلي عبر عدد من المناضلين، من بينهم الغريبي العربي، ومولاي إبراهيم محمد (المدعو السياسي)، وجبريط محمد[1]

تردد مبعوث منطقة الأوراس، المناضل الحاج العرابي المدعو لاجودان، على منطقتي متليلي والمنيعة في عدة مناسبات، حيث كانت زيارته الأولى سنة 1949م، تلتها زيارة ثانية في شهر أوت 1954م، ثم زيارة ثالثة قبيل اندلاع الثورة التحريرية في أكتوبر 1954[2]. ويُعد هذا المناضل مبعوثًا للقائد التاريخي مصطفى بن بولعيد، وقد تولى الإشراف على تنظيم النواة السرية للثورة بالمنطقة، حيث عمل على تعيين مسؤولي الخلايا وفق التقسيم الجغرافي؛ ففي متليلي كُلّف كل من دهان محمد بن سعيد، وكديد بشير، وبن ولهة عبد الله، بينما أشرف في غرداية كل من الحاج عمر إبراهيم، وجبريط محمد، وبوحميدة محمد بن عمر، وفي المنيعة كل من بوخشبة بوعمامة، وليز عبد القادر، ويحي الزهار.

وفي هذا الإطار، بادرت النواة السرية للعمل الثوري في متليلي والمنيعة وغرداية إلى القيام بعملية إحصاء وجمع للأسلحة المتوفرة، إلى جانب إعداد قوائم بأسماء المتدربين على حمل السلاح، وقد أسفرت هذه العملية عن النتائج التالية: نحو خمسمائة مناضل ناشط بالناحية، وحوالي مائة وخمسين (150) بندقية لدى أعضاء الخلايا، إضافة إلى ما يقارب ألفي (2000) قطعة سلاح مختلفة الأنواع بحوزة المواطنين، فضلًا عن توفر الذخيرة وكميات معتبرة من البارود والقنابل التقليدية الصنع[3]

وكان من المنتظر أن يلتحق المناضل عرابي الحاج بالناحية مع اندلاع الثورة للإشراف المباشر، غير أن اختفاءه في تلك المرحلة الحساسة أثار العديد من الشكوك. وقد أدى ذلك إلى نوع من الغموض في تحديد الجهة المشرفة الفعلية على مشروع الثورة في مختلف مناطق الوطن، لا سيما في النواحي الجنوبية

[1] نفسه، ص 314.

[2] عبد القادر ماجن، **من وقائع الثورة بالمنيعة**، في مجلة أول نوفمبر، ع 138-139، سنة 1992م، ص ص 45-56.

[3] المنظمة الوطنية للمجاهدين، **التقرير المقدم للندوة الجهوية لكتابة تاريخ الثورة للفترة 1956–1958 للولاية السادسة**، المعد والمصادق عليه في الملتقى الولائي بتاريخ 25 أكتوبر 1984م، من طرف مجاهدي نواحي غرداية ومتليلي، المنيعة، ص 02.

البعيدة عن مركز القرار، وهو ما زادته السرية التي انتهجتها القيادة في بداية الثورة. ونتيجة لذلك، وجد مناضلو ناحية متليلي صعوبة في التعرف على المفجر الحقيقي للثورة أو الجهة التي تقف وراءها، كما لم يكن اسم جبهة التحرير الوطني معروفًا لديهم في البداية. ويمكن تفسير ذلك بسيطرة جماعة مصالي الحاج على أغلب القسمات والخلايا الحزبية عقب الأزمة التي نشبت بين المصاليين والمركزيين في ربيع سنة 1953، فضلًا عن المكانة التي كان يحظى بها مصالي الحاج لدى سكان المنطقة ومناضليها[1].

كما ساهم انقطاع الاتصال بالمبعوث الخاص واختفاؤه (الحاج عرابي) في تعقيد الوضع، إذ ترتب عنه تأخر انطلاق العمل المسلح لبضعة أشهر، وهو ما يتعارض مع استراتيجية الثورة القائمة على توسيع نطاقها منذ بدايتها. وأمام هذا الوضع، سعى المناضلون إلى إعادة ربط الاتصال بالمناطق الشمالية، خاصة العاصمة، حيث قام المناضل عبد الهادي الطيب، بتكليف من رفاقه، بالاتصال بمسؤولي العاصمة القاوة رزقي وموح الصغير على مستوى القصبة. وبالتوازي مع ذلك، انطلقت عمليات جمع ونقل الأسلحة عبر خط غرداية—الجزائر بإشراف المناضل قليل خالد، الذي كان يعمل سائق صهريج على هذا الخط، كما بدأت المناشير والتعليمات الصادرة عن جبهة التحرير الوطني بالعاصمة تصل تباعًا إلى المنطقة[2].

وقبيل اندلاع الثورة، عرفت منطقة متليلي بناحية غرداية زيارات متكررة لعدد من قادة المنظمة الخاصة (O.S) ومسؤولي التيار الثوري الاستقلالي وحركة انتصار الحريات الديمقراطية(M.T.L.D) ، نظرًا لأهميتها الاستراتيجية، ومن أبرزهم: محمد العربي دماغ العتروس، الأمين بالهادي، عبد الرحمان كيوان، أحمد بودة، مصطفى فروخي، محمد عبد العزيز، عمر بن محجوب، بلحاج منصوري، ومحفوظ إبراهيم

[1] بكار الدهمة، صالح بوسليم، دور منطقة متليلي ...، **مرجع سابق**، ص 316.

[2] نفسه، ص 316.

البيضي[1]. كما تم تحديد كلمة السر الخاصة بالمنطقة عشية اندلاع الثورة بعبارة: "حجرتان من الشرق"[2]. ومع بداية سنة 1955، استقبلت المنطقة عدة وفود بهدف تعزيز الاتصال وتنسيق الجهود، من بينها مبعوث مولاي إبراهيم عبد الوهاب من منطقة البيض، والإخوة زكري بوحفص وبلغيث الحاج محمد، إضافة إلى مبعوث العماري (الأخ ابن شاعة) من منطقة أفلو، فضلًا عن مبعوثين من العاصمة هما بوجمعة قرمة ومصطفى السعودي. كما وفد من منطقة وهران كل من قربوز مصطفى، والرسيوي محمد (المدعو النميس)، إلى جانب مبعوث القائد الشيخ زيان عاشور، والأخ غزال الحاج سليمان، وابن زايط بوحفص، وابن عميرة قويدر، وابن يوسف قوجال[3]

ويرتبط حضور التنظيم الثوري التابع للقائد زيان عاشور في المنطقة بعلاقات الصداقة التي جمعته بمسؤولي الناحية، ومنهم مسعود بن ولهة من قسمة غرداية، وبوعمامة بوخشبة من قسمة المنيعة، حيث تم هذا التعارف خلال مؤتمر هورنو ببلجيكا المنعقد يومي 14 و15 جويلية 1954، في سياق الصراع الداخلي الذي شهدته حركة انتصار الحريات الديمقراطية عشية اندلاع الثورة[4]

وللإشارة، فقد قُدّر عدد أفراد الجيش التابع للقائد زيان عاشور بحوالي ألف ومائتي (1200) جندي قبل انعقاد مؤتمر 20 أوت 1956[5].

وخلاصة القول، فإن جذور العمل الثوري بمنطقة متليلي تعود إلى فترات سابقة، خاصة إلى الثورات الشعبية التي قادها زعماء الطرق الصوفية، وإلى جهود الحركة الإصلاحية التي ساهمت في نشر الوعي الوطني. كما كان للمنطقة دور بارز في دعم العمل الثوري بمناطق الجنوب الجزائري، مثل تيميمون،

---

[1] تقرير المنظمة الوطنية للمجاهدين، **المرجع السابق**، ص 03.

[2] الزبير بوشلاغم، **"الثورة وقضايا أخرى بناحية غرداية"**، مجلة أول نوفمبر، ع 127–128، أفريل 1991م، ص 38.

[3] تقرير المنظمة الوطنية للمجاهدين، **المرجع السابق**، ص 05.

[4] بكار الدهمة، صالح بوسليم، "دور منطقة متليلي في الحركة الوطنية الجزائرية والتحضير للعمل المسلح ما بين 1938–1954"، مرجع سابق، ص 317.

[5] عبد القادر ماجن، "التنظيم الثوري بالولاية السادسة"، في مجلة *أول نوفمبر*، العددان 126–127، مارس–أفريل 1991.

وعين صالح، والهقار بتمنراست. وبناءً على ذلك، يمكن القول إن متليلي كانت على درجة عالية من الجاهزية لخوض غمار الثورة، بفضل وعي أبنائها واستعدادهم، فضلًا عن جهود الرواد الأوائل في ترسيخ الحس الوطني والثوري، حيث لبّى العديد منهم نداء أول نوفمبر 1954 والتحقوا بصفوف الكفاح المسلح ضد الاستعمار الفرنسي.

المبحث الثاني: الأحداث والمعارك الرئيسية كما ترويها الروايات الشفوية

تُعدّ الروايات الشفوية المكتوبة، خاصة مذكرات المجاهدين، من أهم المصادر التي تُمكّن الباحث من إعادة بناء أحداث الثورة التحريرية، إذ تقدّم وصفًا دقيقًا لمجريات المعارك وتفاصيلها اليومية من زاوية الفاعلين أنفسهم. وفي هذا الإطار، اخترنا شهادتي كلٍّ من المجاهد **بن ساحة قادة بن أحمد** والمجاهد **بن شايطة عبد القادر** لإبراز أهم الأحداث والمعارك التي شهدتها منطقتا متليلي والبيض، مع الوقوف على طبيعة العمل العسكري والتنظيمي لجيش التحرير الوطني.

أولًا: معركة أفران وبداية المواجهة المسلحة

تُجمع الروايات الشفوية على أن معركة أفران شكّلت إحدى أولى المحطات الحاسمة في مسار الكفاح المسلح بالمنطقة. حيث يذكر **المجاهد بن ساحة قادة بن أحمد** أنه التحق بجيش التحرير الوطني في الفاتح من جوان 1957 بناحية أفران، ليشارك بعدها في أول معركة له بتاريخ 28 أوت 1957، ضمن مجموعة قوامها حوالي 70 مجاهدًا، وقد أسفرت هذه المواجهة عن استشهاد ثلاثة مجاهدين وجرح عدد آخر[1].

وفي السياق نفسه، يقدّم **المجاهد بن شايطة عبد القادر** رواية مكمّلة، إذ يصف الظروف التي سبقت المعركة، خاصة رصد تحركات العدو عبر الطائرات الاستطلاعية، ثم الاشتباك الذي اندلع في اليوم

[1] بن ساحة قادة بن أحمد، **مذكرة مجاهد**، رقم 1881، ص 2–3.

الموالي، والذي خلف خسائر بشرية في صفوف المجاهدين، من بينها استشهاد بعض العناصر نتيجة القصف والانفجارات[1]. وتُبرز هذه الشهادة البعد الميداني للمعركة، كما تعكس صعوبة الظروف التي خاض فيها المجاهدون أولى مواجهاتهم المسلحة.

ثانيًا: الانتقال إلى العمل الهجومي المنظم

بعد مرحلة المواجهات الأولى، انتقل جيش التحرير إلى تبني استراتيجية هجومية أكثر تنظيمًا، وهو ما تؤكده شهادة **بن ساحة قادة بن أحمد**، الذي يشير إلى تنفيذ عدة هجومات خلال شهر نوفمبر 1957، من بينها الهجوم على مركزي عين لعراك والقاسول[2]. كما يذكر أن هذه العمليات جاءت في سياق إعادة تمركز المجاهدين بعد انتقالهم إلى الولاية الخامسة نتيجة اشتداد الحصار على منطقة متليلي.

وتكشف هذه المعطيات عن تطور نوعي في العمل العسكري، حيث لم يعد يقتصر على الدفاع أو الاشتباكات العرضية، بل أصبح يعتمد على التخطيط المسبق واستهداف مراكز العدو الحيوية.

ثالثًا: المعارك الكبرى ومواجهة التفوق العسكري الفرنسي

تُظهر الروايات الشفوية حجم التحديات التي واجهها المجاهدون أمام التفوق العسكري الفرنسي، خاصة من حيث العتاد والعدد. وفي هذا الصدد، يروي **بن ساحة قادة بن أحمد** تفاصيل المواجهة التي دارت بمنطقة ''تامدا''، حيث حاصر العدو قوات جيش التحرير بقوة كبيرة مدعومة بالطائرات والدبابات، ورغم ذلك تمكن المجاهدون من الصمود وإلحاق خسائر معتبرة بالعدو، منها إسقاط طائرات وقتل عدد من جنوده[3].

[1] بن شايطة عبد القادر، **مذكرة مجاهد**، رقم 1884، ص 2.

[2] بن ساحة قادة بن أحمد، **المرجع سابق**، ص 4.

[3] نفسه، ص 6.

كما يشير نفس المجاهد إلى تعرض قوات جيش التحرير لقصف جوي مكثف بمنطقة ''الحجرة الطائحة'' دام عدة أيام، ما يعكس شدة الضغط العسكري الذي مارسته القوات الاستعمارية[1]. وتبرز هذه الأحداث مدى صلابة المجاهدين وقدرتهم على التكيف مع ظروف الحرب غير المتكافئة.

رابعًا: الكمائن كتكتيك عسكري فعال

اعتمد المجاهدون بشكل كبير على أسلوب الكمائن، باعتباره وسيلة فعالة لمواجهة العدو، وهو ما تؤكده شهادة **بن ساحة قادة بن أحمد** من خلال حديثه عن عدة كمائن، مثل كمين ''الخناق'' سنة 1958 وكمين ''الزويرق'' سنة 1959، والتي أسفرت عن خسائر في صفوف العدو وانسحاب المجاهدين بسلام[2].

وتدل هذه العمليات على وعي عسكري متقدم لدى المجاهدين، حيث تمكنوا من استغلال طبيعة المنطقة لصالحهم، رغم قساوة البيئة الصحراوية.

خامسًا: العمل الفدائي والتنظيم الداخلي

إلى جانب العمل العسكري، تكشف شهادة **بن شايطة عبد القادر** عن نشاط فدائي داخل المدن، خاصة في غرداية، حيث كانت هناك خلايا تعمل على تصفية الخونة وتنفيذ عمليات نوعية[3]. كما توضح شهادته وجود تنظيم محكم لشبكات التموين، التي لعبت دورًا أساسيًا في دعم الثورة.

[1] بن ساحة قادة بن أحمد، **المرجع سابق**، ص ص 6–7.

[2] نفسه، ص 5.

[3] بن شايطة عبد القادر، **مرجع سابق**، ص 2.

ومن جهة أخرى، لا تخلو الروايات من الإشارة إلى بعض الخلافات الداخلية، كما هو الحال في قضية القائد "مزيان"، التي انتهت بمحاكمته وتصفيته بعد ثبوت خيانته، وهو ما يعكس حرص قيادة الثورة على الانضباط الداخلي والحفاظ على تماسك الصفوف[1].

من خلال تحليل هذه الشهادات، يتضح أن منطقة متليلي عرفت انخراطًا مبكرًا في العمل المسلح منذ سنة 1956، وهو ما يؤكد نجاح العمل التوعوي الذي سبق اندلا ع الثورة. كما تكشف الروايات عن قوة الروابط بين مناطق الجنوب، خاصة متليلي والبيض، والتي تجسدت في التعاون العسكري والتنسيق الميداني.

كما تعكس هذه الشهادات الروح القتالية العالية للمجاهدين، وقدرتهم على التكيف مع الظروف المناخية القاسية، فضلًا عن التزامهم الأخلاقي، الذي تجلى في تعاملهم الإنساني مع المدنيين حتى في ظروف الحرب.

المبحث الثالث: دور المرأة الشعانبية والفئات الاجتماعية الأخرى

شكّل انخراط المرأة الشعانبية في الثورة التحريرية أحد أبرز مظاهر التعبئة الشعبية في منطقة متليلي وناحية غرداية عمومًا، حيث لم تقتصر المقاومة على الرجال، بل امتدت لتشمل النساء والأطفال وسكان البوادي والمدن. وقد أسهمت المرأة الصحراوية بفعالية في الجوانب السياسية والعسكرية والاجتماعية، وهذا ما يعكس شمولية المشاركة الشعبية وعمق الوعي الوطني في المجتمع الصحراوي خلال الثورة التحريرية.

أولا: مساهمة المرأة الشعانبية الصحراوية للثورة

رغم مختلف الصعوبات والظروف القاسية، أثبتت المرأة الصحراوية مستوى عاليًا من الوعي السياسي

[1] نفسه، ص 3.

والثقافي، من خلال انخراطها المبكر في صفوف الحركة الوطنية والجمعيات الإصلاحية، وهو ما ساهم في تهيئتها نفسيًا وفكريًا للمشاركة الفعالة في الثورة التحريرية[1].

ساهمت المرأة مساهمة فعالة في دعم الثورة التحريرية، حيث اضطلعت بدور أساسي في جمع الاشتراكات الشهرية والتبرعات داخل الأوساط النسوية[2] ، وهو ما وفر موردًا ماليًا مهمًا لدعم نشاطات الثورة واستمراريتها. ولم يقتصر دورها على الجانب المدني فحسب، بل امتد في كثير من الأحيان إلى المشاركة المباشرة في العمل العسكري المحصن، حيث التحقت بصفوف الثورة كمجاهدات وفدائيات، إضافة إلى عملها كمسبلات وممرضات في الميدان.

1. النشاط السياسي والعسكري

لعبت المرأة دورًا فاعلًا في العمل الفدائي، خاصة في المدن، حيث لم يكن دورها يقل أهمية عن دور المجاهدين في الجبال والبوادي. فقد انخرطت في صفوف جبهة التحرير الوطني كفدائية، تنفذ عملياتها متخفية بزيها النسوي، مما مكنها من التحرك وسط السكان دون إثارة شكوك السلطات الاستعمارية. وشملت مهامها تنفيذ عمليات تخريبية استهدفت مراكز العدو، مثل الثكنات، ومراكز الشرطة والدرك، إضافة إلى بعض المرافق العامة كالمقاهي والملاهي. وقد انطلقت أولى هذه العمليات في ناحية غرداية يوم 7 جانفي 1957، بهدف تأكيد حضور جبهة التحرير الوطني وفرض واقع المقاومة[3] .

كما أدت المرأة دور "المسبلة"، حيث تولت مهمة الربط والتنسيق بين جبهة التحرير الوطني وجيش التحرير، إلى جانب حراسة المجاهدين، وهو ما ساهم في ضمان استمرارية العمل الثوري[4] .

---

[1] امال محبوب، **نشاط المرأة في الولاية الأولى الأوراس النمامشة إبان الثورة التحريرية**، رسالة ماجستير، جامعة بسكرة، الجزائر، 2019م، ص 100.

[2] تقرير المنظمة الوطنية للمجاهدين، **المرجع السابق**، ص 34.

[3] بيشي، محمد عبد الحليم، **تطور الثورة الجزائرية في ناحية غرداية**، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، الجزائر، 2002م، ص 45.

[4] بن ولهة، عبد الحميد مسعود، **الجانب العسكري للثورة التحريرية بناحية غرداية** ، دار صبحي، ط1، متليلي_ غرداية، 2013م، ص ص 67-70.

وبرزت كذلك شخصيات نسوية من منطقة متليلي في العمل السياسي، مثل نواصر عائشة، التي ساهمت في نشر الوعي الثوري، وحظيت بثقة قادة الثورة[1]

2. النشاط الاجتماعي والثقافي

ساهمت المرأة الصحراوية بشكل كبير في دعم الثورة من الناحية الاجتماعية، حيث وفرت للمجاهدين المؤونة من طعام وملابس، إلى جانب تقديم المأوى والرعاية. ومن الأمثلة على ذلك الجغط الصافية وأولاد يهون لالة، اللتان قدمتا الدعم للمجاهدين من خلال توفير الراحة والعناية[2]

أما في المجال الصحي، فقد كان النشاط الطبي في بداية الثورة محدودًا ومقتصرًا غالبًا على الرجال، نظرًا لصعوبة تقبل وجود المرأة في هذا المجال في تلك المرحلة. غير أن تطور الثورة، خاصة بعد إضراب 1956، ساهم في كسر هذه الحواجز، حيث تم تنظيم قطاع الصحة وبدأت النساء يشاركن كممرضات في إسعاف الجرحى وإيواء المجاهدين[3]

ومع ذلك، فإن هذا لا ينفي الدور المبكر الذي قامت به بعض النساء في التطبيب التقليدي داخل البيوت والخيام، باستخدام وسائل بدائية، مثل التداوي بالأعشاب الصحراوية، وكيّ الجروح، وجبر الكسور، إضافة إلى توليد النساء والاعتناء بالمرضى. ومن بين هؤلاء خضرة دحمان، شقيقة المجاهد سيراج دحمان، التي ساهمت في هذا المجال[4].

[1] سويلم، مختار، **ذكريات من النضال والمقاومة للمجاهد أحمد مهاية (أحمد لعمى)**، دار الصبخي، ط1، متليلي_ غرداية، 2011م، ص 33.

[2] بيشي، محمد عبد الحليم، تطور الثورة الجزائرية...، مرجع سابق، ص 70 .

[3] بن ولهة، عبد الحميد مسعود، الجانب العسكري...، مرجع سابق، ص 102.

[4] نفسه، ص 102.

وقد شكلت المرأة خلال الثورة سندًا أساسيًا للمجاهد، إذ كانت تؤويهم في بيتها في المدينة أو البادية، وتقوم بإعداد الطعام، وغسل الملابس، وإسعاف الجرحى، بل وحتى الحراسة، مما يعكس شمولية دورها وأهميته في إنجاح العمل الثوري[1]

وقد عرفت ناحية غرداية حضورًا بارزًا للمرأة في مختلف مجالات الكفاح، إذ قدمت نماذج مشرّفة لنساء صمدن في وجه التعذيب والقهر، واستشهدن بعد أن ضربن أروع أمثلة التضحية والصبر. ومن بين هؤلاء الشهيدات نذكر: فاطنة قريدة، وعائشة النواصر الملقبة بـ"الخنساء"،[2] والعالية مصباح، والشيخة الرويجي، وأم الخير الدين، وفاطنة أولاد المختار، وعائشة شعيب، ومسعودة بريك. وتُعد الشهيدة عائشة النواصر من أبرز هذه الشخصيات، حيث لم تكتفِ بدعم الثورة معنويًا وماديًا، بل دفعت بأبنائها الأربعة إلى ساحات القتال، قبل أن تلتحق هي الأخرى بركب الشهداء بعد صمودها الأسطوري تحت التعذيب[3]

كما برزت نماذج أخرى لنساء قدمن تضحيات جسيمة، مثل السيدة حدة بن عمران التي فقدت ثلاثة من أبنائها شهداء وهم: قدور، ومسعود، ومحمد طرباقي[4]، وهو ما يعكس عمق التزام المرأة الصحراوية بالقضية الوطنية واستعدادها للتضحية بالغالي والنفيس في سبيل الاستقلال ومن بين الشهيدات اللائي سقطن خلال سنوات الثورة نذكر:[5]

---

[1] يحي بوعزيز، **ثورات القرن العشرين**، دار البصائر للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 2009م، ص 194.

[2] مختار سويلم، **دور المرأة الشعانبية في الثورة التحريرية: نواصر عائشة "الخنساء الأخرى للشعانبة" أنموذجًا**، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، مج 07، ع02، جامعة غرداية، 2014م، ص ص 441–450 . وأيضا: مؤسسة التلفزيون الجزائري، الشهيدة عائشة النواصر: خنساء العطف، **فيلم وثائقي**، 2016م، (قرص مضغوط).

[3] بكار دهمة، **النشاط الثوري في ناحية غرداية في مواجهة الاستعمار الفرنسي في الجزائر 1956–1962**، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف صالح بوسليم، جامعة غرداية، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، قسم التاريخ، السنة الجامعية 2019–2020م، ص 366.

[4] تقرير المنظمة الوطنية للمجاهدين، **المرجع السابق**، ص ص 29–30.

[5] بكار دهمة، النشاط الثوري...، مرجع سابق، ص 367.

- فاطمة حمزة بنت سالم، المولودة بغرداية، التي انخرطت في صفوف الثورة سنة 1956 واستشهدت سنة 1957 .
- فاطنة قريدة بنت أحمد، المولودة بمتليلي سنة 1930، انخرطت سنة 1957 واستشهدت في شهر فيفري 1959 .
- عائشة النواصر بنت رمضان، المولودة بمتليلي سنة 1901، التحقت بالعمل الثوري سنة 1957 واستشهدت تحت التعذيب في شهر جوان 1959 .
- أم الخير الدين بنت الشيخ، المولودة بمتليلي سنة 1933، انخرطت سنة 1956 واستشهدت سنة 1960 .
- العالية مصباح بنت عبد القادر، المولودة بمتليلي سنة 1934، انخرطت سنة 1957 واستشهدت سنة 1960 .
- الشيخة الرويحي بنت أحمد، المولودة بمتليلي سنة 1943، انخرطت في العمل الثوري واستشهدت في شهر أفريل 1960 .
- سعيدة بومهراس بنت محمد، المولودة بمتليلي سنة 1919، انخرطت سنة 1955 واستشهدت في شهر أفريل 1961 .
- مسعودة بريك بنت حميدة، المولودة بالمنيعة سنة 1942، انخرطت سنة 1957 واستشهدت في نفس السنة .
- عائشة شعيب بنت قويدر، المولودة بالمنيعة سنة 1932، انخرطت سنة 1957 واستشهدت في نفس السنة .

- فاطنة أولاد المختار بنت فيدور، المولودة بالمنيعة سنة 1935، انخرطت سنة 1958 واستشهدت في شهر نوفمبر 1960م[1].

وقد اضطلعت المجندات بمهام متعددة، حيث عملن كفدائيات وممرضات ومرشدات، وتكفلن بعدة مسؤوليات في الأرياف والجبال والمدن، فكنّ سندًا قويًا للرجل في مسار الحركة التحررية، وأسهمن بفعالية في ضمان استمرارية العمل الثوري[2]

ومن جهة أخرى، لم تقتصر المشاركة الشعبية على النساء فقط، بل شملت كذلك فئة الأطفال، خاصة في المدن، حيث أدوا دورًا مهمًا في نقل الرسائل السرية والبريد بين المراكز، وكذا إيصال المواد الغذائية، لا سيما في فترات الحصار. وقد كان الدور الذي قام به أطفال البدو الرحل أكثر خطورة وتعقيدًا، نظرًا لطبيعة البيئة الصحراوية وما تكتنفه من صعوبات ومخاطر، وهو ما يعكس شمولية التعبئة الشعبية وانخراط مختلف فئات المجتمع في دعم الثورة التحريرية[3]

[1] مختار سويلم، **دور المرأة الشعانبية في الثورة التحريرية، في مجلة الواحات للبحوث والدراسات**، ع خ 21، الصادر في شهر ديسمبر، سنة 2014م، ص 207.

[2] الخضر بورقعة، **شاهد على اغتيال الثورة**، دار الحكمة، ط2، الجزائر، 2000م، ص 79.

[3] بيكار دهمة، النشاط الثوري...، **مرجع سابق**، ص 368.

خلاصة الفصل

يتضح من خلال هذا الفصل أن منطقة متليلي شكّلت إحدى القواعد المهمة الداعمة للثورة التحريرية في الجنوب الجزائري، حيث ساهم أبناؤها في التنظيم الثوري والعمل الفدائي، وربط الاتصالات بين مختلف المناطق، إضافة إلى توفير الدعم اللوجستي والبشري لجيش التحرير الوطني. كما أبرزت الروايات الشفوية الدور الكبير الذي أدته المنطقة في احتضان المناضلين وتأمين السلاح والمؤونة، رغم صعوبة الظروف الطبيعية والأمنية التي فرضها الاستعمار الفرنسي.

وقد كشفت الشهادات الشفوية أيضًا عن أهمية المرأة الشعانبية الصحراوية في إنجاح الثورة، سواء من خلال الدعم السياسي والعسكري، أو عبر الأدوار الاجتماعية والثقافية والصحية التي قامت بها داخل المدن والبوادي، إلى جانب التضحيات الجسيمة التي قدمتها العديد من الشهيدات والمجاهدات. ومن ثم، تؤكد الذاكرة الشفوية أن الثورة التحريرية لم تكن حكرًا على فئة دون أخرى، بل كانت مشروعًا جماعيًا شاركت فيه مختلف شرائح المجتمع، مما يجعل توثيق هذه الروايات ضرورة تاريخية للحفاظ على الذاكرة الوطنية وصون الهوية الجزائرية

الفصل الرابع :تحليل الذاكرة الشفوية وتحديات حفظها

المبحث الأول: منهجية جمع وتوثيق الروايات الشفوية (المقابلات، التسجيل، التحقق)

المبحث الثاني: تحليل وتحويل الرواية الشفوية إلى مادة تاريخية مدونة

المبحث الثالث: دور الذاكرة الشعبية في إبراز الجوانب المغيبة أو "المهملة" في التاريخ الرسمي

تمهيد

يُعدّ التاريخ الشفهي أحد أهم الحقول المعرفية التي أسهمت في إعادة الاعتبار للذاكرة الإنسانية بوصفها وعاءً حيويًا لحفظ تجارب الماضي، خاصة في المجتمعات التي عانت من نقص التدوين أو ضياع الأرشيفات المكتوبة. فالذاكرة الشفوية لا تقتصر على نقل الوقائع، بل تمثل بنية معقدة تتداخل فيها الأبعاد التاريخية والاجتماعية والنفسية، حيث تُعيد الجماعات من خلالها إنتاج ماضيها وفق تصوراتها ورؤيتها للعالم. ومن هذا المنطلق، أصبحت دراسة الذاكرة الشفوية وتحليلها ضرورة علمية لفهم التاريخ في أبعاده غير الرسمية، والكشف عن الجوانب المغيبة التي لم توثقها المصادر التقليدية.

وفي ظل التحولات المعاصرة، برزت تحديات جديدة تتعلق بحفظ هذا التراث، خاصة مع تسارع وتيرة التغير الاجتماعي والتكنولوجي، مما أدى إلى تراجع دور النقل الشفهي التقليدي. وفي المقابل، فتحت الرقمنة آفاقًا واسعة لحفظ الروايات الشفوية وتوثيقها، غير أنها طرحت بدورها إشكالات تتعلق بأصالة المحتوى، وطرق تمثيله، وحدود توظيفه في الفضاء الرقمي. ومن هنا تبرز أهمية دراسة آليات جمع وتوثيق الروايات الشفوية، وتحليلها وتحويلها إلى مادة مدونة، مع الوقوف على دور الذاكرة الشعبية في إعادة تشكيل التاريخ، وأخيرًا استكشاف سبل توظيف الرقمنة في حفظ هذا التراث وتعزيز الهوية الوطنية.

وعليه، يهدف هذا الفصل إلى معالجة إشكالية مركزية تتمثل في: كيف يمكن التعامل مع الذاكرة الشفوية بوصفها مصدرًا تاريخيًا، مع ما تطرحه من تحديات تتعلق بالمصداقية والحفظ؟ وذلك من خلال التطرق إلى منهجية جمع الروايات الشفوية وتوثيقها، ثم تحليلها وتحويلها إلى مادة تاريخية مدونة، إضافة إلى إبراز دور الذاكرة الشعبية في استحضار الجوانب المغيبة من التاريخ، وأخيرًا دراسة أثر الرقمنة والجيل الجديد في حفظ هذا التراث ومواجهة تحدياته المعاصرة.

المبحث الأول: منهجية جمع وتوثيق الروايات الشفوية (المقابلات، التسجيل، التحقق)

نظراً لأن الرواية الشفهية عرضة للتغير بمرور الزمن، والإنسان عرضة للنسيان بسبب تراكم الأحداث، أو قد تخونه الذاكرة، فلا بد إذن من دراسة الراوي، وأن نُطبق على الرواة شيئاً من منهج المحدثين، ويقوم المؤرخ بدور المحقق الذي يستجوب الشهود من أجل الوصول إلى الحقيقة[1]. وهنا يصح أن نقول: إن الرواية الشفهية معرفة تاريخية، إذ إن مضمونها يشكل شاهداً أو دليلاً يبحث عنه المؤرخ لتعليل ما وقع أو لتدعيم وجهة نظره، وبهذا تصبح الروايات الشفهية مجرد أدلة أو كشوف نفي أو إثبات وجهة نظر معينة[2].

تتألف عملية البحث في مجال التراث الشفهي من ثلاث عناصر متتالية:[3]

1 - مرحلة جمع المادة من مصادرها الشفهية.

2- مرحلة تصنيف ما تم جمعه وفهرسته وإيداعه في أرشيف.

3- مرحلة الدراسة والتحليل 32.

أما جمع المادة الشفهية فيتم بثلاث طرق وهي:[4]

أ- طريقة الملاحظة.

ب طريقة المشاركة.

ج - طريقة المقابلة

---

[1] فانيسيا يان، **الماثورات الشفهية دراسة في المنهجية التاريخية**، تر: أحمد علي موسى، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة 1981م، ص 186.

[2] قسطنطين زريق **نحن والتاريخ**، دار العلم للملايين، بيروت 1963م، ص 94

[3] عبد الله بن إبراهيم العسكر، **أهمية تدوين التاريخ الشفهي، مجلة الدرعية**، ع 39-40، شبكة الألوكة، تاريخ الإضافة: 2009/09/01 https://www.alukah.net/culture/0/7295 ص 12.

[4] المرجع نفسه.

إن المقابلة الشخصية، أو التاريخ الحي، لتسجيل النص الشفهي تُعد أهم طريقة لتجميع التراث الشفهي، فالمؤرخ في هذه الحالة يعيش الأحداث التاريخية التي يدرسها عبر المشاركة فيها أو من خلال من عايشوها، وله إمكانية الحوار المباشر معهم واستيضاحهم حول جوانب كثيرة من الماضي.

تُعتبر المقابلة أساس البحث في التاريخ الشفهي، وهي الطريقة الوحيدة المتوفرة للحصول على المعلومات[1]، والمقابلة هي حوار لفظي مباشر هادئ وواعٍ يتم بين شخصين (باحث ومبحوث) أو بين شخص ومجموعة من الأشخاص للحصول على معلومات يتعذر الحصول عليها بالأدوات أو التقنيات الأخرى، ويتم تسجيله عبر التدوين كتابة أو عن طريق التسجيل الصوتي.

والمقابلة طريقة يتم فيها سبر غور حياة فرد غير معروف للباحث، بواسطة التحري والتقصي، واستخراج الروايات حول المعلومات التي ترجع إلى الماضي، أو فيما يتعلق بحياته الشخصية أو محيطه الاجتماعي، عن طريق طرح أسئلة تمهيدية ثم أسئلة رئيسية تتعلق بشكل مباشر بحياة وآراء ومواقف وقيم المبحوث (الراوي)، وتحدث هذه العملية وجهاً لوجه، وقد تكون أحياناً بشكل شفوي مسجل[2].

ويتوجب على الباحث في التراث الشفهي اتباع الخطوات التالية للحصول على مقابلة جيدة:

أولا: المقابلة التمهيدية

تُسمّى أيضاً *جلسة الاستكشاف*، وتُعدّ اتصالاً أولياً بين الباحث والراوي، حيث تشكّل فرصة لإنشاء نوع من الألفة والثقة بينهما. وتُعدّ هذه العلاقة عاملاً مهماً في نجاح المقابلة، إذ تساعد الباحث على كسب ودّ الراوي، كما تُمكّنه من اختبار معلوماته ومدى صفاء ذاكرته. ومن جهة أخرى، تتيح هذه

[1] بن حماد الجوهري الفارابي إسماعيل، **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، تح، أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، 1978م، ج9، ص 225.

[2] جليل عمر معن، **الموضوعية والتحليل في البحث العلمي**، دار الأفاق الجديدة، بيروت 1983م، ص 208.

المرحلة للباحث تعديل أسئلته، وتعريف الراوي بأهداف البحث، وأخذ موافقته، فضلاً عن التعرّف على الظروف التي ستتم فيها عملية التسجيل[1].

ثانيا: ضرورة اطلاع الراوي على موضوع المقابلة

من الضروري أن يكون الراوي على علم مسبق بموضوع المقابلة، وعلى الباحث أن يزوّده بملخص عن الموضوع ومجموعة من الأسئلة المقترحة. فإلمام الراوي بموضوع البحث يمنحه فرصة تجميع أفكاره وتنظيمها، كما يساعده على البحث عن وثائق أو مواد ذات صلة، مثل المخطوطات، والجرائد والصور وغيرها[2].

ثالثا: تحديد زمان ومكان المقابلة

يتعيّن على الباحث في التاريخ الشفوي أن يُحسن اختيار زمان ومكان إجراء المقابلة، إذ لا ينبغي أن يكون ذلك بصورة عشوائية[3]. فاختيار المكان المناسب يُعدّ عاملاً أساسياً في نجاح المقابلة، ويُفضّل أن يكون مكاناً هادئاً وخالياً من الأشخاص غير المعنيين، حتى لا يؤثر تدخلهم في سير الحوار[4].

أما من حيث الزمان، فيجب على الباحث اختيار الوقت المناسب بالتنسيق مع الراوي، بحيث يكون في حالة راحة واستعداد، لأن حسن اختيار التوقيت يُعدّ عنصراً مهماً في إنجاح المقابلة.

---

[1] الجابري محمد عابد، **التراث والحداثة مركز دراسات الوحدة العربية**، ط1، بيروت1991م، ص ص 5-6.

[2] لجابري عثمان، ضوابط منهجية...، **مرجع سابق**، ص ص 6- 7.

[3] مؤنس حسين، **التاريخ والمؤرخون**، دار المعارف، ط1، القاهرة، 1984م، ص ص 64- 65.

[4] الجابري عثمان، ضوابط منهجية...، **مرجع سابق**، ص ص 7-8.

رابعا: ضبط الأسئلة وطريقة إدارة الحوار

ينبغي على الباحث أن يطّلع على موضوع بحثه من خلال المصادر والمراجع، حتى تتكوّن لديه صورة واضحة، ثم يقوم بإعداد أسئلة متسلسلة تتسم بالوضوح والموضوعية، وتغطي مختلف جوانب الموضوع، مع تجنّب التحيّز، ويفضّل أن تكون الأسئلة مفتوحة[1].

وخلال المقابلة، يُستحسن أن يبدأ الباحث بأسئلة بسيطة وحيادية، ثم يتدرّج نحو الأسئلة الأكثر أهمية. كما يجب أن يحافظ على حياده، وألا يحاول خداع الراوي، لأن ذلك قد يُفقده الثقة، ومن الضروري أيضاً عدم إرهاق الراوي بكثرة الأسئلة، مع منحه الوقت الكافي للإجابة، والإصغاء الجيد له، وتشجيعه على الاستمرار من خلال الإيماءات التي تُظهر الاهتمام[2]

كما ينبغي على الباحث أن يطرح سؤالاً واحداً في كل مرة، ويتأكد من فهم الراوي له، ويراقب تعابير وجهه وسلوكه دون إبداء دهشة أو استغراب[3]. ويجب أن تكون لغة الباحث واضحة وبسيطة، مع تجنّب النقد المباشر، وإنهاء المقابلة بشكل تدريجي، مع تقديم الشكر للراوي على تعاونه[4]

ومن الأساليب المعتمدة للتحقق من مصداقية الرواية، التساؤل عمّا إذا كان الراوي قد عايش الحدث أو عاصره، لأن الرواية الشفهية تكتسب قيمتها من معايشة الراوي للأحداث، لا من مجرد نقلها[5]

---

[1] فند يلجي عامر، **البحث العلمي واستخدام مصادر المعلومات التقليدية والإلكترونية**، دار الهازوري للنشر والتوزيع، عمان 2002م، ص.190.

[2] الجابري عثمان، ضوابط منهجية... **مرجع سابق**، ص 10.

[3] عبيدات ذوقان وآخرون، **المهارات البحثية للطلاب**، دار مجدلاوي، عمان، د.ت، ص 136.

[4] الجابري عثمان، ضوابط منهجية...، **مرجع سابق**، ص 10.

[5] أبو شبيكة (عدنان احمد)، **منهج نقد الوثيقة الرسمية وإمكانية تطبيقها على الرواية في التاريخ الشفوي**، مجلة الجامعة الإسلامية، ع خ بالمؤتمر العلمي، التاريخ الشفوي الواقع والطموح، ماي 2006م، ص ص15-16.

أهمية الأرشفة والتنظيم:

من الضروري بناء الأرشيف الشفهي على قواعد صارمة من الانتقاء والتقييم، إذ يتوجب على الأرشيفيين الإلمام بطرق حفظ وتداول وتقييم الشهادات الشفهية، والعمل على تنظيمها وترتيبها وفق أسس علمية، مع إعدادها للفهرسة والاستغلال العلمي[1]

كما أن عمل الأرشيفي لم يعد يقتصر على المهام التقليدية، بل أصبح يتطلب مبادرة ومرونة، والانفتاح على آفاق أوسع، بهدف تأسيس تراث وثائقي متكامل[2]

ولا شك أن التاريخ يحتل موقعاً متقدماً في ضمان إتاحة الأرشيف للأجيال القادمة، مما يستوجب الوعي بالقيمة التاريخية للروايات الشفهية، وأهمية إنتاجها وحفظها وإتاحتها للباحثين[3]

المبحث الثاني: تحليل وتحويل الرواية الشفوية إلى مادة تاريخية مدونة

تُعدّ الرواية الشفوية من أهم المصادر التي يعتمد عليها المؤرخ في استعادة تفاصيل الماضي، خاصة في المجتمعات التي ضعُف فيها التدوين أو تأخر ظهوره. غير أن هذا المصدر، على أهميته، يظل عرضة للتغيير والتحريف بفعل الذاكرة البشرية والانحيازات الفكرية والاجتماعية، الأمر الذي يجعل تحويله إلى مادة تاريخية مدونة عملية علمية دقيقة تتطلب منهجًا نقديًا صارمًا. ومن هنا برزت أهمية إخضاع الرواية الشفهية للفحص والتحليل قبل اعتمادها وثيقةً تاريخية يمكن الركون إليها في كتابة التاريخ.

[1] أمنية عامر ، التاريخ الشفهي: تاريخ يغفله التاريخ Cybrarians Journal .، العدد 5 (يونيو 2005). تاريخ الاطلاع: 28 ماي 2026. متاح على http://www.cybrarians.info/journal/no5/history.htm : ص 11

[2] مرجع نفسه، ص 11

[3] مرجع نفسه، ص 11

فقد أشار **فانسينا يان** إلى أن الرواية الشفهية "عرضة للتغيير والتبديل، والإنسان عرضة للنسيان، وقد تخونه الذاكرة، أو يخلط بين الأحداث، أو ينحاز لجهة معينة أو رأي أو فكر يؤمن به"[1]، ولذلك يدعوا الكثير من مؤرخين إلى ضرورة دراسة الراوي نفسه، والاستفادة من منهج المحدّثين في نقد الرواة، حتى يتمكن المؤرخ من التحقق من صدقية الرواية ومقارنتها بالوقائع التاريخية الأخرى. كما أكد أن الرواية الشفهية لا تصبح معرفة تاريخية إلا إذا تحولت إلى شاهد أو دليل يساعد المؤرخ في تفسير الأحداث أو دعم وجهة نظر تاريخية معينة[2]

ويكشف هذا الطرح عن وعي منهجي عميق بأهمية النقد الداخلي والخارجي للرواية الشفهية، إذ لا يمكن للمؤرخ المعاصر أن يتعامل مع الروايات الشفوية بوصفها حقائق جاهزة، بل باعتبارها مادة أولية تحتاج إلى التحليل والمقارنة والتمحيص.

وفي هذا السياق، يذكر الدكتور ميلاد المقرحي أن هناك ثلاث قضايا أساسية ينبغي اعتمادها عند تحويل الرواية الشفهية إلى رواية مدونة، استخدامها وهي: [3]

- إمكانية تعليم الكثير من الرواية الشفهية في ميدان التاريخ.
- أن دراسة الماضي من خلال الرواية الشفهية تشتمل على كل أنواع البحث التاريخي الأخرى، فهي مزيج من الإثارة والرتابة.

[1] فانسينا، يان: **المأثورات الشفهية، دراسة في المنهجية التاريخية**؛ تر: أحمد علي موسى، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، 1981م، ص 186.

[2] قسطنطين زريق، **نحن والتاريخ، مرجع سابق**، ص94.

[3] P.Gardinet, The **Nature of historical Explanation**, **London Univ**. **Press**, 1968, p.56. Also see: Rober Perks. OralHistory: Talking about the past, The Historical Association in association with the Oral History Society, London, 1995

- أن يوضع ما يُجمع من روايات شفهية في متناول الباحثين عند توسيع دائرة استخدامها، خصوصاً لدى كل من المؤرخين الذين يقللون من أهميتها، ولا بد من نشرها وجعلها متاحة مثل الوثائق الأخرى.

وتبرز أهمية هذه القضايا في كونها تؤسس لاعتراف أكاديمي بالتاريخ الشفهي بوصفه فرعًا علميًا قائمًا بذاته، لا مجرد مادة هامشية. فإتاحة الروايات الشفهية للباحثين يساعد على إعادة قراءة التاريخ من زوايا متعددة، ويمنح الفئات المهمشة أو غير الممثلة في الوثائق الرسمية فرصة للحضور داخل السردية التاريخية.

وهنا يدور عمل المؤرخ، حيث يقوم بفحص الروايات الشفهية والدوافع من ورائها وطريقة نقلها، وخاصة فحص القيمة الأسلوبية والهدف والخلفية لدى الراوي. كما يقوم المؤرخ بفحص البناء الداخلي والخارجي للرواية الشفهية من خلال المنهج المعروف لدى المؤرخين، وإن لم يتم ذلك بنجاح، يمكن وقتها تدوين الرواية الشفهية لتصبح وثيقة عامة مثل الوثائق الأخرى.

ومن هنا تتضح أهمية قيام المؤرخ بفحص الروايات الشفهية وتقويمها، من خلال دراسة دوافع الراوي وطريقة تناقل الرواية، إضافة إلى تحليل الحبكة الأسلوبية والخلفية الفكرية والبناء الداخلي والخارجي للرواية، حتى يمكن بعد ذلك تدوينها وتحويلها إلى وثيقة تاريخية معتمدة. ويُظهر هذا التصور أن تحويل الرواية الشفهية إلى مادة تاريخية ليس مجرد عملية نقل من المشافهة إلى الكتابة، بل هو انتقال من الذاكرة الفردية أو الجماعية إلى فضاء المعرفة التاريخية المنظمة. لذلك فإن المؤرخ هنا يؤدي دور المحقق والناقد معًا، وهو ما يجعل من التاريخ الشفهي علمًا قائمًا على أدوات منهجية دقيقة، وليس مجرد تسجيل للذكريات.

ويجب ان نشير أن أغلب الروايات الشفهية تعاني من ثلاث مشكلات رئيسة، هي: غياب القياس الزمني الدقيق، وعدم وضوح الفكرة التاريخية، والنظر إلى الماضي بنوع من المثالية المفرطة

Idealization of the past، وهو ما يشكل تحديًا حقيقيًا أمام الباحث في التاريخ الشفهي[1]

وهذه الملاحظة تُعد من أهم الإشكالات المنهجية في دراسة الرواية الشفوية، لأن الذاكرة الشعبية تميل غالبًا إلى تضخيم الأحداث أو تجميل الشخصيات التاريخية، مما يفرض على الباحث ضرورة المقارنة بين الرواية الشفهية والمصادر المكتوبة، وعدم الاكتفاء بالسرد الشعبي وحده. كما أن النظرة المثالية للماضي تكشف عن البعد النفسي والثقافي للرواية الشفهية، إذ تعكس أحيانًا تطلعات المجتمع أكثر مما تعكس الواقع التاريخي نفسه.

وفي إطار الجهود العلمية للاستفادة من التراث الشفهي، يجب تناول تجربة الباحث فانسينا الذي حاول الجمع بين التراث الشفهي ومنهج المؤرخين الصارم، حيث اقترح تنميطًا للروايات الشفهية الإفريقية شمل الصيغ والشعر والقوائم والحكايات والتعليقات[2]. إلا أنه يتَّضح بِجلاءٍ الفشَل الَّذي أَلَمَّ بفانسينا عند تنميطه للشواهد التاريخية التي جمعها يرى أن فانسينا لم ينجح في بناء تصنيف متكامل ومتسق، كما أنه لم يهتم بالإسناد والرواة على غرار ما فعله علماء المسلمين[3]

ويعكس هذا النقد إدراكًا لأهمية التصنيف العلمي في دراسة الرواية الشفهية، لأن غياب التنميط الدقيق يجعل المادة الشفهية مشتتة وصعبة التوظيف تاريخيًا. كما أن الإشارة إلى منهج علماء المسلمين في الإسناد تؤكد أن التراث العربي الإسلامي يمتلك خبرة مبكرة ومتقدمة في نقد الأخبار والروايات، وهو ما يمكن الإفادة منه في تطوير مناهج التاريخ الشفهي المعاصر.

كما نريد ان نبيّن أن البحث في التراث الشفهي يمر بثلاث مراحل متتابعة: جمع المادة الشفهية، ثم تصنيفها وفهرستها وأرشفتها، وأخيرًا دراستها وتحليلها. أما جمع المادة الشفهية فيتم عبر ثلاث وسائل،

---

[1] عبد الله بن إبراهيم العسكر، أهمية تدوين ...، **مرجع سابق**، https://www.alukah.net/culture/0/7295

[2] **المقرحي الرواية الشفوية والمصادر المدونة، الجزء الثاني** – مجلة قاريونس العلمية: السنة الثالثة، العدد الثاني – بنغازي، 1990م، ص 45.

[3] ديفيد هينج، **التاريخ الشفهي**، ترجمة ميلاد المقرحي، مركز دراسة جهاد الليبيين سلسلة الدراسات المترجمة، 20 طرابلس 1991م، ص ص 55- 56.

هي: الملاحظة، والمشاركة، والمقابلة، مع التأكيد على ضرورة الجمع بين هذه الطرق لتحقيق أكبر قدر من الدقة العلمية[1]

وتُظهر هذه المراحل أن العمل في مجال التاريخ الشفهي عمل مؤسساتي ومنهجي يحتاج إلى تخطيط وتنظيم، وليس مجرد جمع عفوي للروايات. كما أن اعتماد وسائل متعددة في جمع المادة يساعد الباحث على تجاوز التحيزات الفردية والوصول إلى صورة أكثر شمولًا وموضوعية للحدث التاريخي. وفي التمييز بين ‘‘التاريخ الشفهي’’ و‘‘الرواية الشفهية’’، أن الأول أصبح فرعًا من فروع علم التاريخ، بينما تمثل الثانية مصدرًا من مصادره، يشمل الثقافة والتقاليد المتناقلة شفهيًا. كما أكد أن الرواية الشفهية لا تنتقل إلى مجال التاريخ الشفهي إلا إذا كانت متواترة ومدعومة بشيء من التاريخ المكتوب[2]

وهذا التمييز مهم للغاية من الناحية المنهجية، لأنه يحدد الفرق بين المادة الخام والأداة العلمية التي تعالجها. فالرواية الشفهية وحدها لا تكفي لإنتاج معرفة تاريخية دقيقة، بل لا بد من إخضاعها للتحقق والمقارنة والتوثيق حتى تكتسب صفة ‘‘التاريخ.’’

ولعلَّه من المفيد الاطِّلاع على العمل الجيِّد الذي ألَّفه كوللوم ديفز وزملاؤه: كاثرين باك وكاي ماكلين (Cullo Davis, Kathryn Back & Kay Maclean) بعنوان: "***التاريخ الشفهي: من الشريط إلى الورق***" (Oral History: From Tape to Type) ، حيث تناول المؤلفون في أربعة فصول خطوات جمع التاريخ الشفهي، وآليات تحويل الروايات الشفهية إلى تاريخ مدوَّن، وطرق التواصل مع الجمهور ونشر التاريخ الشفهي، إضافة إلى بيان أساليب إدراك التاريخ الشفهي وفهمه. ويُعد هذا العمل من الدراسات المنهجية المهمة التي يمكن الإفادة منها في تطوير مشاريع

[1] فانسينا، المأثورات الشفهية، **مرجع سابق**، ص33، ص55.

[2] عبد الله بن إبراهيم العسكر، *أهمية تدوين التاريخ الشفهي*، مرجع سابق، https://www.alukah.net/culture/0/7295

التاريخ الشفهي في العالم العربي، مع إجراء بعض التعديلات التي تراعي الخصوصية الثقافية والاجتماعية للبيئة العربية[1].

إنّ الحديث عن تحليل الرواية الشفوية وتحويلها إلى مادة تاريخية مدونة لا يكتمل إلا بربط هذا المسار المنهجي بإسهاماته الفعلية في كتابة تاريخ الجزائر المعاصر، لان تاريخ الجزائر المعاصر يُعدّ تاريخاً حافلاً بالأمجاد والبطولات، غير أنّ جمع كل الحقائق التاريخية يظل مطلباً صعب التحقيق، بل يكاد يكون مستحيلاً في ظل غياب وفقدان جزء معتبر من الوثائق الرسمية، خاصة بعد نقل الأرشيف الوطني الجزائري إلى فرنسا، الأمر الذي خلق العديد من العوائق والصعوبات أمام الباحثين. وحتى في حال الحصول على وثيقة معينة، فإن ذلك لا يعني التسليم المطلق بصحتها، لأن الوثائق وحدها لا تكتب التاريخ، ومن هنا برزت أهمية الرواية الشفوية كمصدر مساعد وأساسي في كتابة تاريخ الجزائر المعاصر.

وقد تعزز هذا التوجه من خلال ما أقدمت عليه وزارة المجاهدين، حين أصدرت تعليمات صارمة للمديريات الولائية والمتاحف من أجل جمع الشهادات الحية وتسجيلها (القرار الوزاري رقم 1322 لسنة 2011)[2]، وذلك بهدف سدّ النقص الفادح في الوثائق، خاصة تلك المتعلقة بأحداث الثورة في الداخل.

وتبرز أهمية الشهادة الشفوية بشكل أكبر عند عجز الوثائق الرسمية عن تفسير بعض الحوادث أو توضيحها، إذ تمثل مصدراً مهماً في كتابة تاريخ القادة والعسكريين والضباط، وهو مجال يكتنفه الغموض وتحيط به صعوبات عديدة بسبب ما يتضمنه من أسرار وخفايا. كما أنّ أصحاب هذه الشهادات قد

[1] سعد الصويان، "جمع المأثورات الشفهية"، الدوحة: مركز التراث الشعبي لدول الخليج العربية، 1985م، ص29، ص79، وانظر أيضًا: إبراهيم إسحاق، "الراوية الشفهية بين مناهج التراثيين الشفهيين والمؤرخين التقليديين"، مجلة المأثورات الشعبية، العدد الثاني، يناير 1989م.

[2] الصادق عبد المالك، **الرواية الشفوية ودورها في تدوين معارك الثورة الجزائرية معركة الجرف نموذجا، مجلة الرسالة للدراسات والبحوث الانسانية** ، مج 6، ع3، 2021م، ص 128.

يتأثرون بعوامل متعددة، مثل الرغبة في التبرير أو التمويه أو حتى الحفاظ على أسرار الدولة، وهو ما يفرض على الباحث التعامل معها بحذر ودقة[1].

وفي هذا السياق، يشير الدكتور رابح لونيسي إلى أنّ غياب المذكرات والشهادات المكتوبة من طرف عناصر النظام أو المقربين منه قبل سنة 1988، باستثناء بعض الحالات مثل العقيد أحمد بن شريف، وياسف سعدي الذي كتب عن معركة الجزائر[2]، يعكس محدودية المصادر الرسمية، ويؤكد في المقابل أهمية الرواية الشفوية التي تُجمع غالباً من أفواه الفئات البسيطة في المجتمع، والتي تمتاز بعفويتها وصدقها، رغم ما قد يشوبها أحياناً من مبالغة.

غير أنّ هذا لا ينفي أنّ الروايات المرتبطة بالقادة والزعماء تبقى أكثر تعقيداً، إذ قد تكون موجّهة أو خاضعة لاعتبارات سياسية، مما يستدعي من الباحث مزيداً من الحيطة والحذر، بل وقد يعرّضه ذلك أحياناً إلى مخاطر أثناء البحث.

وتتجلى أهمية الرواية الشفوية في إسهامها في إثراء البحث التاريخي وسدّ الثغرات التي تعجز الوثائق الأرشيفية عن تغطيتها[3]، كما ساعدت في الكشف عن العديد من الجوانب الخفية للعمل الثوري، مثل طرق تهريب السلاح وتنظيمه، حيث تم نقل الأسلحة من صحراء ليبيا إلى غدامس، ثم إلى الوادي فبسكرة وصولاً إلى أريس، تحت إشراف قادة الثورة مثل مصطفى بن بولعيد، مع اعتماد أساليب دقيقة كإنشاء مطامر للسلاح لحمايته من التلف، وهو ما يعكس حجم التنظيم والدقة في العمل السري[4].

---

[1] رابح لونيسي، **منهج التعامل مع الشهادات والمذكرات عند كتابة تاريخ الثورة الجزائرية (شهادات بن يوسف بن خدة نموذجا)**، مجلة عصور، ع 6-7، جوان ديسمبر 2005م، ص24.

[2] نفسه، ص 26.

[3] مبارك جعفري، **التراث الشفهي وأهميته في الكتابة التاريخية**، مجلة الدراسات التاريخية والاجتماعية، كلية الآداب والعلوم الانسانية، جامعة نواكشوط، موريتانيا، ع11، 2016م، ص7.

[4] أحمد منصور: **الرئيس أحمد بن بلة يكشف عن أسرار ثورة الجزائر**، دار الأصالة للنشر والتوزيع، ط2، الجزائر، 2009م، ص 66.

كما ساهمت الرواية الشفوية في توثيق الجرائم الاستعمارية، مثل المجازر، والإبادة الجماعية، والتعذيب، والنهب والتدمير، مما مكّن الشعب الجزائري من استعادة حقوقه المعنوية، وفتح المجال لمساءلة مرتكبي هذه الجرائم[1]

وتؤكد هذه التجارب أن الرواية الشفهية لم تعد مجرد مادة تراثية أو فلكلورية، بل أصبحت مصدرًا مهمًا لإعادة كتابة التاريخ المحلي والاجتماعي والثقافي. كما أن توظيف الشعر الشعبي والأسطورة يكشف عن تطور النظرة الحديثة إلى المصادر التاريخية، حيث لم يعد التاريخ مقتصرًا على الوثيقة الرسمية، بل أصبح ينفتح على مختلف أشكال التعبير الثقافي والرمزي.

المبحث الثالث: دور الذاكرة الشعبية في إبراز الجوانب المغيبة أو "المهملة" في التاريخ الرسمي

تُعدّ الذاكرة الجماعية من أهم الوسائل التي تحفظ بها الشعوب تجاربها التاريخية وهويتها الثقافية، فهي لا تقتصر على مجرد استحضار أحداث الماضي، بل تمثل وعاءً يحمل المعاناة والتجارب المشتركة ويعيد إنتاجها داخل وعي الجماعة عبر الأجيال. وفي هذا السياق يرى وجيه كوثراني أن الذاكرة الجماعية تعبّر عن ''حالة المعيش للعلاقة التي لا تنتهي بين الماضي والحاضر''[2] ، وهو ما يوضح أن الذاكرة ليست مجرد تخزين للأحداث بل هي استمرار حيّ لتأثيرها في الحاضر وتشكيل الوعي الجمعي. كما تؤدي الذاكرة دورًا أساسيًا في مقاومة النسيان والمحافظة على الهوية، إذ يؤكد الكاتب أن ''الذاكرة تقاوم النسيان''[3] ، بما يعني أن الجماعات تمتلك قدرة على استبقاء تاريخها رغم التحولات ومحاولات الطمس. وفي حالات الصراع والاقتلاع تتحول الذاكرة إلى عنصر تعويضي، حيث تصبح ''بديل الأرض''[4]، أي

[1] محمد مجاود، **أهمية المنهج الشفوي في الكتابات التاريخية**، المجلة الناصرية للدراسات الاجتماعية والتاريخية، ع.خ، ديسمبر 2012م، ص 12.

[2] وجيه كوثراني، "**لذاكرة والتاريخ في مشوار شفيق الحوت: من يافا إلى بيروت**"، مجلة الدراسات الفلسطينية، ع 95، صيف 2013م، ص 35.

[3] نفسه، ص 36.

[4] نفسه، ص 36.

حاضنة للانتماء حين تُفقد الجغرافيا، فتتداخل التجربة الفردية مع الجماعية حتى تصبح "سيرة الوطن هي سيرة المواطن"[1] ، وهو ما يعكس عمق الارتباط بين التاريخ الشخصي والتاريخ الجمعي في بناء الهوية.

ومن هذا المنظور، تُسهم الذاكرة الشعبية في إعادة تشكيل الأحداث التاريخية داخل المخيال الجماعي، إذ لا تنقل الوقائع كما حدثت فقط، بل تعيد صياغتها ضمن محكي شعبي يمزج بين الواقع والخيال ويعكس رؤية الجماعة لذاتها وتاريخها. وفي هذا السياق تشير دليلة مكسح إلى أن "الذاكرة الشعبية طوّعت تلك الأحداث ضمن محكي شعبي، يضفي عليها جوانب تتجاوز الواقع إلى الخيال"[2] ، وهو ما يبرز قدرة المخيال الجمعي على إعادة إنتاج التاريخ في شكل رمزي يتجاوز التوثيق نحو التمثيل. كما أن المحكي الشعبي لا يُختزل في السرد الترفيهي، بل يحمل وظائف تفسيرية واجتماعية، إذ إن "أي مأثور شعبي يحوي ما من شأنه أن يفسر أكثر من ظاهرة من ظواهر الاجتماع والتاريخ"[3] ، مما يجعل الذاكرة الشعبية أداة لفهم البنية الثقافية للمجتمع. كما يتميز هذا التصور بتمييز واضح بين التاريخين، حيث يُقصد بالتاريخ هنا "الرؤية الشعبية للوقائع والأحداث... وليس التاريخ الرسمي المسجل من قبل مؤرخين"[4] ، وهو ما يكشف التوتر القائم بين التاريخ الأكاديمي والتاريخ المعيش داخل الذاكرة الجماعية.

وبناءً على ذلك، فإن الذاكرة الشعبية لا تُعد مجرد إعادة سرد للماضي، بل هي عملية إعادة بناء رمزية للتاريخ داخل الوعي الجمعي، حيث تتحول الشخصيات والأحداث إلى نماذج دلالية تعكس قيم المجتمع وتصوراته عن البطولة والمعاناة والانتماء، كما يظهر في تحويل الشخصيات الثورية إلى رموز خارقة

---

[1] المرجع نفسه، ص 36.

[2] دليلة مكسح، "**المحكي الشعبي والذاكرة التاريخية (Folk narrative and historical memory)**"، **مجلة المحكي الشعبي والذاكرة**، مج 08، ع1، 2022م، ص ص 23–34.

[3] عبد الرحمن أيوب، **الفولكلوري العربي في حقبة ما بعد الاستعمار، ضمن كتاب جماعي: ما بعد الاستعمار والقومية في المغرب العربي: التاريخ والثقافة والسياسة**، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، بيروتص 3.

[4] نفسه، ص 4.

داخل المخيال الشعبي، وهو ما يجعل الذاكرة الشعبية مجالًا حيًا لفهم العلاقة بين الإنسان وتاريخه في أبعادها النفسية والثقافية والاجتماعية.

المبحث الرابع: تحويل الشفوي إلى مدون: الرقمنة والجيل الجديد ودوره في تعزيز الهوية الوطنية والتحديات المعاصرة

يشكّل تحويل التراث الشفوي إلى تراث مدوَّن ورقمي أحد أبرز التحولات المعاصرة في مجال حفظ الذاكرة الثقافية، حيث ساهمت الرقمنة في إتاحة وسائل حديثة لتوثيق الموروث الشفهي وحمايته من الاندثار. وفي هذا السياق برز دور الجيل الجديد بوصفه فاعلًا أساسيًا في نقل التراث وإعادة إنتاجه عبر الوسائط الرقمية، بما يعزز الهوية الوطنية ويطرح في الوقت نفسه تحديات ثقافية وتقنية جديدة.

أولًا: الرقمنة وتحويل التراث الشفوي إلى أرشيف رقمي

تُعدّ رقمنة التراث الشفوي عملية تهدف إلى تحويل الموروث الثقافي، وخاصة المؤلفات التي انتقلت ملكيتها إلى المجال العام، من رفوف المكتبات الواقعية إلى الرفوف الافتراضية، وذلك بفضل ما توفره الوسائط الرقمية مثل الأقراص المدمجة، وأقراص التخزين المحمولة، وأجهزة الحاسوب، وشبكة الإنترنت من إمكانيات واسعة في التخزين والتداول وحفظ البيانات[1]. إذ تتيح هذه التقنيات سعة تخزينية كبيرة، وسهولة في الاسترجاع والنقل، إضافة إلى إمكانية نسخ المحتوى دون حدود، مما يجعل عملية حفظ التراث أكثر فعالية واستمرارية مقارنة بالطرق التقليدية[2] .وفي هذا الإطار، تشمل رقمنة التراث الحفاظ على الموروث الإنساني بشقيه المادي وغير المادي، من خلال توظيف أحدث التقنيات متعددة الوسائط، بما

[1] أسليم محمد: **رقمنة التراث أو الأدب التقليدي في بيئة رقمية** ص 02
https://www.scribd.com/doc/292197430/%D8%B1%D9%82%D9%85%D9%86%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%AA%D8%B1%D8%A7%D8%AB-%D8%A7%D8%B3%D9%84%D9%8A%D9%85#google_vignette

يسمح بإتاحته للجمهور عبر الإنترنت، مواكبةً لتطور تكنولوجيا المعلومات والاتصال. كما تُعد هذه العملية شكلاً من أشكال التوثيق الإلكتروني الذي يهدف إلى صون التاريخ الإنساني، خاصة الموروث الشفاهي الذي يتميز بانتشاره الواسع في العالم العربي، والذي رغم قيمته التاريخية والرمزية أصبح مهدداً بالاندثار[1]. ومن هذا المنطلق، تبرز أهمية الرقمنة كآلية حديثة لحماية هذا التراث وتحويله إلى أرشيف رقمي منظم يضمن استمراريته للأجيال القادمة.

شهد التراث الشفوي في العقود الأخيرة تحولًا مهمًا بفعل الرقمنة، إذ لم يعد مقتصرًا على التداول الشفهي داخل الجماعات المحلية، بل أصبح يُحوَّل إلى أرشيفات رقمية ومنصات إلكترونية تحفظه وتتيح تداوله على نطاق عالمي. ويُعد هذا التحول من الموضوعات الحديثة نسبيًا في الدراسات الأكاديمية، خاصة مع ظهور ما يُعرف بمنظومات السرد الرقمي والأرشيفات الإلكترونية. وفي هذا السياق تؤكد دراسة *From Oral Tradition to Digital Archives: How Global Storytelling Ecosystems Influence National Identity* أن "العولمة والتحول الرقمي قد أعادا تشكيل الطرق التي تحافظ بها المجتمعات على التراث وتنقله"، كما توضح أن منظومات السرد الرقمي والأرشيفات الإلكترونية أصبحت أدوات فاعلة في تشكيل الهوية الوطنية وتعزيز الذاكرة الثقافي[2].

وتبرز الدراسة أن الانتقال من الشفهي إلى الرقمي يمثل مرحلة جديدة في حفظ التراث، إذ تشير إلى أن "الوساطة الرقمية للتقاليد الشفوية تحافظ على الذاكرة الثقافية وتعزز الهوية الوطنية وتسقط القوة

[1] سوقال إيمان، **المرجع السابق**، ص 87. ايضا: خلف الله بوجمعة، **حماية التراث العمراني والمعماري الجزائر**، ديوان المطبوعات الجامعية، 2019م، ص 87

[2] Eman Ijaz, **From Oral Tradition to Digital Archives**: How Global Storytelling Ecosystems Influence National Identity, University of Gujrat, September 2025, available at: ResearchGate (Accessed May 18, 2026; P 1

الناعمة في عالم معولم"[1]. ويكشف ذلك أن رقمنة التراث الشفوي لم تعد مجرد عملية تقنية، بل أصبحت وسيلة ثقافية واستراتيجية لحماية الذاكرة الجماعية وربط الأجيال الجديدة بتاريخها وهويتها.

كما تؤكد الدراسة أن الجيل الجديد يؤدي دورًا أساسيًا في هذا التحول، خاصة من خلال استعمال المنصات الرقمية ووسائل الإعلام الحديثة، حيث إن "منصات السرد الرقمي تزيد من سهولة الوصول، وتشرك الأجيال الشابة، وتحافظ على الذاكرة الثقافية"[2]. ومن ثم، لم يعد الشباب مجرد متلقين للتراث الشفوي، بل أصبحوا فاعلين في توثيقه ونشره وتحويله إلى محتوى رقمي قابل للحفظ والتداول.

غير أن الدراسة لا تُغفل التحديات المعاصرة المرتبطة بهذه العملية، إذ تشير إلى أن التحول الرقمي يفرض إشكالات تتعلق بكيفية الحفاظ على الخصوصيات الثقافية واللغوية أثناء نشر الروايات الشفوية عالميًا، رغم أنه يساهم في المقابل في جعل "الذاكرة المحلية معرفة متاحة عالميًا"[3]. ومن هنا تظهر أهمية تحقيق التوازن بين الحفاظ على أصالة التراث الشفوي والانفتاح على الوسائط الرقمية الحديثة.

ثانيًا: جهود الجزائر في حفظ الهوية الوطنية

ينطبق هذا التحول أيضًا على الجزائر، التي اتجهت في السنوات الأخيرة إلى رقمنة التراث الثقافي غير المادي، إذ يُعد تحويل التراث الشفوي إلى تراث مدوَّن ورقمي من أبرز الآليات الحديثة التي ساهمت في حماية الهوية الوطنية الجزائرية وتعزيز استمرارية الذاكرة الجماعية في ظل التحولات التكنولوجية المعاصرة "فقد أصبحت الرقمنة وسيلة فعّالة لصون التراث الثقافي المادي وغير المادي، من خلال حفظه في صيغ

[1] Ibid., p. 4

[2] Ali, "**Digital Preservation of South Asian Literary Heritage**," Journal of Cultural Heritage, vol. 15, no. 3, 2020, pp. 45–62.

[3] Chakrabarti, "**Folklore and the Digital Age**: **Indian Epics Online**," South Asian Studies Review, vol. 30, no. 2, 2018, pp. 88–105

إلكترونية تضمن استمراريته وتحدّ من تعرضه للتلف أو الضياع، مع المحافظة على أصالته دون تغيير طبيعته الأصلية، وفق ما تنص عليه التشريعات الخاصة بحماية التراث الثقافي"[1]

وتعتمد هذه العملية على مجموعة من الوسائط التقنية الحديثة، "مثل الماسحات الضوئية والكاميرات الرقمية وبرامج التعرف الضوئي على الحروف (OCR) وبرامج إدارة المواد الرقمية، وهي أدوات ساهمت في إدماج التراث ضمن بيئة رقمية متكاملة"[2]

وفي هذا السياق، عملت وزارة الثقافة على إنشاء منصات ومدونات إلكترونية تهدف إلى جمع التراث الثقافي غير المادي وتوثيقه، بما يشمل التعابير الفكرية والطبوع الثقافية والعادات والتقاليد المتوارثة بين الأجيال، وهو ما يسمح بتحويل الموروث الشفوي إلى مادة رقمية قابلة للحفظ والتداول والوصول عبر شبكة الإنترنت. كما ساهمت الرقمنة في تسهيل البحث في الوثائق التراثية وإتاحتها لعدد كبير من الباحثين والمستفيدين في الوقت نفسه، إضافة إلى دورها في الترويج العالمي للتراث الوطني وتعزيز حضوره ضمن الفضاء الثقافي العالمي[3].

---

[1] زرق العين نوال، **أهمية الرقمنة والتكنولوجيات الحديثة في إدارة التراث الثقافي والتعريف به**، مجلة منبر التراث الأثري، مج. 12، ع 1، 2023م، ص 273.

[2] أبو الحبيب زتزة، **إشكاليات رقمنة المخطوطات في الجزائر: زاوية الشيخ محمد باي بالعالم، والمركز الوطني للمخطوطات بأدرار نموذجين**، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في علم المكتبات والعلوم الوثائقية، جامعة وهران 1 أحمد بن بلة، 2015، ص. 51–53

[3] مصطفاوي عايدة، حرقاس زكريا، التثمين الرقمي للتراث ودوره في تحسين التنمية السياحية، جامعة البليدة، ص. 10–11 .
https://www.scribd.com/document/1028885162/13-%D8%A7%D9%84%D8%AA%D8%AB%D9%85%D9%8A%D9%86-%D8%A7%D9%84%D8%B1%D9%82%D9%85%D9%8A-%D9%84%D9%84%D8%AA%D8%B1%D8%A7%D8%AB-%D9%88%D8%AF%D9%88%D8%B1%D9%87-%D9%81%D9%8A-%D8%AA%D8%AD%D8%B3%D9%8A%D9%86-%D8%A7%D9%84%D8%AA%D9%86%D9%85%D9%8A%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%B3%D9%8A%D8%A7%D8%AD%D9%8A%D8%A911

ويبرز هنا دور الجيل الجديد باعتباره فاعلًا أساسيًا في عملية التثمين الرقمي للتراث، إذ أصبح الشباب يوظفون الوسائط الحديثة ومنصات التواصل الاجتماعي في إعادة نشر الحكايات الشعبية والأغاني التراثية والعادات المحلية بصيغ رقمية معاصرة، مما يعزز ارتباطهم بالهوية الوطنية ويضمن انتقال الذاكرة الثقافية من الطابع الشفوي التقليدي إلى الطابع الرقمي المستدام.

غير أن هذا التحول يواجه عدة تحديات معاصرة، من بينها مخاطر تشويه المحتوى التراثي أو فقدان أصالته نتيجة التداول غير المنضبط، إضافة إلى التحديات التقنية والقانونية المتعلقة بحماية الملكية الثقافية وضمان الاستعمال الصحيح للمواد الرقمية.

خلاصة الفصل:

خلص هذا الفصل إلى أن الذاكرة الشفوية تُعدّ مصدرًا أساسيًا في إعادة بناء الماضي، خاصة في ظل محدودية الوثائق المكتوبة، غير أنّ التعامل معها يقتضي اعتماد منهج علمي دقيق يقوم على الجمع المنظم للروايات، وتوثيقها عبر أدوات كالمقابلة والتسجيل، ثم إخضاعها للتحقق والنقد وفق معايير موضوعية تضمن مصداقيتها.

كما بيّن أن تحويل الرواية الشفوية إلى مادة تاريخية مدونة ليس مجرد عملية نقل، بل هو مسار منهجي معقّد يتطلب تحليل مضمون الرواية، وفحص خلفيات الراوي، ومقارنتها بمصادر أخرى، مما يجعل المؤرخ يؤدي دورًا مزدوجًا كمحقق وناقد. وفي هذا السياق، كشفت الدراسة عن الإشكالات التي تعاني منها الرواية الشفوية، مثل ضعف الضبط الزمني والنزعة إلى مثالية الماضي، وهو ما يفرض الحذر في توظيفها.

ومن جهة أخرى بتجلى الدور المحوري للذاكرة الشعبية في إبراز الجوانب المغيبة من التاريخ الرسمي، حيث تسهم في إعادة تشكيل الأحداث داخل الوعي الجمعي، وتعكس رؤية المجتمع لذاته وتاريخه، رغم ما قد يعتريها من مزج بين الواقع والخيال. وفي ظل التحولات المعاصرة، تبيّن أن الرقمنة تمثل أداة فعالة في حفظ التراث الشفوي وتوسيع دائرة انتشاره، خاصة مع مساهمة الجيل الجديد في توثيقه ونشره عبر الوسائط الرقمية، غير أن ذلك يطرح تحديات تتعلق بالحفاظ على أصالة المحتوى وحمايته من التشويه.

خاتمة

خلصت هذه الدراسة إلى أن الذاكرة الشعبية والرواية الشفوية تمثلان ركيزة أساسية في إعادة بناء تاريخ الثورة التحريرية الجزائرية، خاصة في المناطق التي عانت من نقص الوثائق المكتوبة أو تهميش دورها داخل السردية التاريخية الرسمية، مثل منطقة متليلي الشعانبة. فقد كشفت الروايات الشفوية والشهادات الحية التي حفظها السكان عن جانب مهم من مساهمات المنطقة في الثورة التحريرية، سواء على المستوى العسكري أو السياسي أو الاجتماعي، وأبرزت حجم التضحيات التي قدّمها أبناء المنطقة في سبيل دعم الكفاح الوطني ضد الاستعمار الفرنسي.

كما بيّنت الدراسة أن الذاكرة الشعبية لم تكن مجرد وسيلة تقليدية لحفظ الماضي واستحضار الأحداث، بل كانت فضاءً ثقافيًا واجتماعيًا حافظ على الهوية الجماعية، وساهم في ترسيخ قيم المقاومة والانتماء الوطني داخل المجتمع المحلي. فقد حملت أشكال التعبير الشعبي المختلفة، كالشعر الشعبي والحكايات والأمثال والأغاني، مضامين وطنية وثورية عكست معاناة السكان وآمالهم، وأسهمت في نقل التجربة النضالية من جيل إلى آخر، مما جعل الموروث الشعبي بمثابة أرشيف حيّ للثورة التحريرية ووعاء للذاكرة الجماعية.

وأثبتت الدراسة كذلك أن الرواية الشفوية، رغم ما قد يعتريها من نسيان أو مبالغة أو تأثير للعامل الذاتي، تظل مصدرًا تاريخيًا بالغ الأهمية، خاصة عندما يتم التعامل معها وفق منهج علمي قائم على النقد والمقارنة والتحليل. فالرواية الشفوية لا تُقرأ باعتبارها مجرد نقل حرفي للأحداث، بل باعتبارها تعبيرًا عن رؤية الجماعة لتاريخها وتجربتها، وهو ما يمنحها قيمة تفسيرية وثقافية تتجاوز حدود التوثيق التقليدي. ومن هنا، تبيّن أن التاريخ الرسمي وحده لا يكفي لفهم الثورة التحريرية في مختلف أبعادها، بل إن الذاكرة الشعبية تسهم في الكشف عن الجوانب الإنسانية والاجتماعية التي غالبًا ما تُغفلها الوثائق الرسمية.

وقد أبرزت الدراسة أيضًا أن متليلي الشعانبة كانت فضاءً نضاليًا مهمًا قبل الثورة وخلالها، حيث ساهمت بنيتها الاجتماعية والثقافية في تشكيل وعي مقاوم قائم على التلاحم والتضامن وروح الانتماء الجماعي. كما لعبت المؤسسات الدينية، وفي مقدمتها المسجد العتيق، دورًا محوريًا في نشر الوعي الوطني وترسيخ الروح الجهادية، إلى جانب الدور الكبير الذي أدته القبائل والعائلات المحلية في احتضان العمل الثوري وتوفير الدعم للمجاهدين.

ومن النتائج المهمة التي توصلت إليها الدراسة كذلك، إبراز الدور البارز الذي قامت به المرأة الشعانبية في دعم الثورة التحريرية، سواء من خلال النشاط السياسي والعسكري، أو عبر المساهمة الاجتماعية واللوجستية، كتوفير المؤونة، وإيواء المجاهدين، ونقل الرسائل والأسلحة، والعناية بالجرحى. وقد أثبتت المرأة الصحراوية من خلال هذه الأدوار وعيًا وطنيًا عميقًا، جعلها شريكًا أساسيًا في مسار الكفاح التحرري، رغم قسوة الظروف الاجتماعية والسياسية التي كانت تعيشها.

كما أكدت الدراسة أن الذاكرة الشعبية لعبت دورًا كبيرًا في إبراز الجوانب المغيبة أو المهمشة من التاريخ الرسمي، إذ حفظت تفاصيل مرتبطة بحياة المجاهدين اليومية، وأساليب المقاومة، ومعاناة السكان تحت الاستعمار، وهي جوانب لم تحظَ بالاهتمام الكافي في كثير من الدراسات التاريخية. فالذاكرة الجماعية لا تنقل الأحداث فقط، بل تعيد صياغتها داخل المخيال الشعبي، وفق رموز ودلالات تعبّر عن رؤية المجتمع لبطولاته وقيمه وتجاربه التاريخية.

ومن جهة أخرى، أظهرت الدراسة أن التحولات الرقمية المعاصرة فرضت تحديات جديدة تتعلق بحفظ التراث الشفوي وصيانته من الضياع، خاصة مع تراجع النقل الشفهي التقليدي وتغير أنماط التواصل بين الأجيال. غير أن الرقمنة فتحت في المقابل آفاقًا واسعة لحفظ الروايات الشفوية والموروث الشعبي، من خلال تحويلها إلى أرشيفات رقمية ومنصات إلكترونية تسهّل حفظها وتداولها والوصول

إليها. وقد برز دور الجيل الجديد في هذا المجال، من خلال توظيف الوسائط الحديثة ومنصات التواصل الاجتماعي لإعادة إحياء التراث الشعبي وربطه بالهوية الوطنية.

غير أن هذا التحول الرقمي لا يخلو من تحديات، من بينها مخاطر فقدان أصالة المحتوى أو تشويهه، إضافة إلى الإشكالات المتعلقة بحماية الملكية الثقافية وضمان التوثيق العلمي الدقيق للمادة الشفوية. ولذلك، فإن الرقمنة ينبغي أن تتم ضمن مشاريع علمية وثقافية منظمة، تراعي خصوصية التراث الشعبي وتحافظ على قيمته التاريخية والرمزية.

وبناءً على النتائج المتوصل إليها، يمكن تقديم جملة من التوصيات، من أهمها:

- ضرورة الإسراع في جمع الروايات الشفوية وتوثيقها قبل ضياعها بوفاة الرواة والشهود .
- تشجيع الباحثين على دراسة تاريخ المناطق الصحراوية وإبراز مساهمتها في الثورة التحريرية .
- إنشاء مراكز وأرشيفات رقمية متخصصة في حفظ الذاكرة الشعبية والتراث الشفوي الجزائري .
- دعم مشاريع التاريخ الشفوي داخل الجامعات ومخابر البحث العلمي .
- إدماج الموروث الشعبي والذاكرة الوطنية ضمن البرامج التعليمية والأنشطة الثقافية .
- تشجيع الشباب على استثمار الوسائط الرقمية في حفظ التراث الشعبي وتثمينه .
- تعزيز التعاون بين المؤسسات الثقافية والأكاديمية من أجل حماية التراث غير المادي وتوثيقه .

وفي الأخير، يتضح أن الذاكرة الشعبية ليست مجرد بقايا من الماضي أو سرديات شفوية متوارثة، بل هي عنصر حيّ ومتجدد يشكّل جزءًا أساسيًا من هوية المجتمع ووعيه التاريخي. فهي تمثل ذاكرة الجماعة، وتحفظ تجاربها وآلامها وانتصاراتها، وتسهم في بناء الحاضر واستشراف المستقبل. ومن ثمّ، فإن الاهتمام بالذاكرة الشعبية والرواية الشفوية لا يُعدّ مجرد اهتمام أكاديمي أو ثقافي فحسب، بل هو واجب وطني وحضاري يهدف إلى صيانة الهوية الوطنية وحماية التاريخ من النسيان والتهميش.

قائمة المصادر والمراجع

أولًا: المخطوطات والوثائق الأرشيفية

- المنظمة الوطنية للمجاهدين، **التقرير المقدم للندوة الجهوية لكتابة تاريخ الثورة للفترة 1956–1958 للولاية السادسة**، 1984

.• A. Emé, **Monographie sur Metlili**, Manus., CCDS Ghardaïa, Cote: 01920007.

• P. Vellard, **Le Sahara**: **Mission et Histoire**, Manus., CCDS Ghardaïa, Cote: 0007000144.

ثالثًا: الكتب العربية

- أبو شبيكة، عدنان أحمد، **منهج نقد الوثيقة الرسمية وإمكانية تطبيقها على الرواية في التاريخ الشفوي**، مجلة الجامعة الإسلامية، 2006.

أبو نحل، أسامة محمد، **الرواية الشفوية في الرسائل العلمية الخاصة بتاريخ فلسطين المعاصر**، مؤتمر التاريخ الشفوي، غزة، 2006.

- أحمد أمين، **حيزية: الملحمة الجزائرية**، دار المصباح، الجزائر.
- أحمد منصور، **الرئيس أحمد بن بلة يكشف عن أسرار ثورة الجزائر**، دار الأصالة، الجزائر، 2009.
- إبراهيم، نبيلة، **أشكال التعبير في الأدب الشعبي**، دار غريب، القاهرة.
- بدوي، عبد الرحمن، **مناهج البحث العلمي**، وكالة المطبوعات، الكويت، 1977.
- بن خليف، عبد الوهاب، **تاريخ الحركة الوطنية من الاحتلال إلى الاستقلال**، دار طليطلة، الجزائر، 2009.
- بن ولهة، عبد الحميد مسعود، **الجانب العسكري للثورة التحريرية بناحية غرداية**، دار صبحي، متليلي، 2013.

- بيشي، محمد عبد الحليم، **تطور الثورة الجزائرية في ناحية غرداية**، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر.
- التلي بن الشيخ، **دور الشعر الشعبي الجزائري في الثورة(1954–1830)** ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1983.
- جبريط، محمد، **على مدارج النضال والثورة: خطوات وذكريات 1947–1964**، دار صبحي، متليلي، 2015.
- حبيدة، محمد، **التاريخ الشفهي وكتابة التاريخ**، دار أبي رقراق، المغرب، 2013.
- حرب، طلال، **أولية النص**، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، 1999.
- حركات، مصطفى، **الهادي إلى أوزان الشعر الشعبي**، دار الآفاق، الجزائر، 2000.
- سعد الله، أبو القاسم، **خلاصة تاريخ الجزائر: المقاومة والتحرير 1830–1962**، دار الغرب الإسلامي، 2007.
- سويلم، مختار، **ذكريات من النضال والمقاومة للمجاهد أحمد مهاية**، دار صبحي، متليلي، 2011.
- عبد الحكيم، شوقي، **الرجل والمرأة في التراث الشعبي**، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة، 2015 .عبد الحميد أحمد رشوان، حسن، **الفلكلور والفنون الشعبية**، المكتب الجامعي الحديث، 1993.
- عبد الحميد يونس، **دفاع عن الفلكلور**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1973.
- العسكر، عبد الله بن إبراهيم، **أهمية تدوين التاريخ الشفهي**، مجلة الدرعية، 2007.
- عثماني، بولرباح، **دراسات نقدية في الأدب الشعبي**، الرابطة الوطنية للأدب الشعبي، الجزائر، 2009.
- كوثراني، وجيه، **استحضار الذاكرة التاريخية وتشكيل الهوية**، دار الطليعة، بيروت، 1993.
- لونيسي، رابح، **منهج التعامل مع الشهادات والمذكرات عند كتابة تاريخ الثورة الجزائرية**، مجلة عصور، 2005.

- مجاود، محمد، **أهمية المنهج الشفوي في الكتابات التاريخية**، المجلة الناصرية للدراسات الاجتماعية والتاريخية، 2012.
- هالبفاكس، موريس، **الذاكرة الجمعية**، ترجمة نسرين الزهر، بيت المواطن، دمشق، 2016.

رابعًا: الكتب والمراجع الأجنبية

Cauneille, Auguste, **Les Chaamba**, **leur nomadisme**, CNRS, Paris, 1968.

• Daumas, Eugène, **Le Sahara Algérien**, Dubos Frères, Alger, 1845.

• Daumas, Eugène, **Mœurs et coutumes de l'Algérie**, Paris, 1853.

• Dosse, François, **Le moment Ricœur de l'opération historiographique**, Vingtième Siècle, 2001.

• Gardiner, P., **The Nature of Historical Explanation**, London University Press, 1968.

• Passager, P., **Metlili des Chaamba**: **étude historique**, **géographique et médicale**, Archives de l'Institut Pasteur d'Algérie, 1958.

• UNESCO, **Nomades et Nomadisme au Sahara**, Munich, 1963.

• Vansina, Jan, **Oral Tradition**: **A Study in Historical Methodology**, 1981.

خامسًا: الرسائل الجامعية والأطروحات

- أبو الحبيب زتزة، **إشكاليات رقمنة المخطوطات في الجزائر**، مذكرة ماجستير، جامعة وهران، 2015.
- آمال محبوب، **نشاط المرأة في الولاية الأولى الأوراس النمامشة إبان الثورة التحريرية**، رسالة ماجستير، جامعة بسكرة، 2019.
- بكار دهمة، **النشاط الثوري في ناحية غرداية في مواجهة الاستعمار الفرنسي 1956–1962**، أطروحة دكتوراه، جامعة غرداية، 2020.
- بكار الدهمة، **دور منطقة غرداية في الحركة الإصلاحية والوطنية الجزائرية**، مذكرة ماجستير، جامعة الجزائر، 2012
- لشيخ لكحل، **مقاومة منطقة متليلي الشعانبة للاستعمار الفرنسي (في الفترة ما بين 1851–1908م)**، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف: د. محمد الزين، قسم العلوم الإنسانية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة جيلالي ليابس، سيدي بلعباس، السنة الجامعية: 1438–1439هـ / 2017–2018م.

سادسًا: المجلات والدوريات

- بونار، رابح، **الشعر الشعبي وتطوره**، مجلة آمال، العدد 4، 1969.
- بورقعة، الخضر، **شاهد على اغتيال الثورة**، دار الحكمة، الجزائر، 2000.
- دليلة مكسح، **المحكي الشعبي والذاكرة التاريخية**، 2022.
- قاسي، فريدة، **الذاكرة الجماعية وإشكالية كتابة التاريخ**، مجلة الآداب والحضارة الإسلامية، 2022.
- مهملي، أسامة، وآمال صالحي، **الموروث الشعبي والهوية الوطنية**، مجلة المعيار، 2024.

الملخص

ملخص:

تنطلق هذه الدراسة من اعتبار الذاكرة الشعبية مصدرًا تاريخيًا أساسيًا، خاصة في ظل نقص الوثائق المكتوبة، حيث تعكس التجارب الجماعية وتكشف الجوانب المغيبة من التاريخ، مما يجعلها مكملة للرواية الرسمية.

اعتمدنا على المنهج التاريخي التحليلي قائمًا على جمع الشهادات الشفوية عبر المقابلات، ثم توثيقها وتصنيفها وتحليلها وفق منهج نقدي للتحقق من مصداقيتها.

وأظهرت النتائج أن متليلي الشعانبة كان لها دور مهم في الثورة (1954–1962)، من خلال الدعم العسكري واللوجستي والسياسي، إلى جانب دور المؤسسات الدينية في نشر الوعي الوطني.

كما بينت الدراسة أن الرواية الشفوية تواجه تحديات مثل ضعف الدقة والتأثر بالنسيان والتحيز، مما يستوجب نقدها ومقارنتها بالمصادر الأخرى. ورغم ذلك، تظل الذاكرة الشعبية أداة أساسية لكشف الجوانب غير الرسمية للتاريخ وتعزيز الهوية الوطنية.

وفي ظل التحولات الحديثة، ساهمت الرقمنة في حفظ هذا التراث ونشره، رغم ما تطرحه من إشكالات تتعلق بالأصالة والحماية.

وتخلص الدراسة إلى أن الذاكرة الشفوية تمثل ركيزة مهمة في كتابة تاريخ الثورة، خاصة في المناطق المهمشة، مع ضرورة تطوير مناهج دراستها والاستفادة من التقنيات الحديثة في توثيقها.

الكلمات المفتاحية:

الذاكرة الشعبية، الرواية الشفوية، الثورة التحريرية الجزائرية، متليلي الشعانبة.

Abstract:

This study is based on the premise that popular memory constitutes a fundamental historical source, particularly in the absence or scarcity of written documents. It reflects collective experiences and reveals overlooked aspects of history, making it a complementary source to official narratives.

The study adopts a historical-analytical approach based on the collection of oral testimonies through interviews, followed by their documentation, classification, and analysis according to a critical methodology to ensure their reliability.

The findings show that Metlili Chaamba played a significant role in the Algerian War of Independence (1954–1962), through military, logistical, and political support, in addition to the role of religious institutions in promoting national awareness.

The study also demonstrates that oral narratives face several challenges, such as limited accuracy, the influence of memory loss and bias, which necessitate their critical examination and comparison with other sources. Nevertheless, popular memory remains a key tool for uncovering unofficial aspects of history and strengthening national identity.

In light of contemporary transformations, digitization has contributed to preserving and disseminating this heritage, despite raising issues related to authenticity and protection.

The study concludes that oral memory represents an essential pillar in writing the history of the revolution, especially in marginalized regions, highlighting the need to develop its methodological approaches and to benefit from modern technologies in its documentation.

Keywords:

Popular memory, Oral tradition, Algerian War of Independence, Metlili Chaamba.

الفهارس

فهرس الاختصارات:

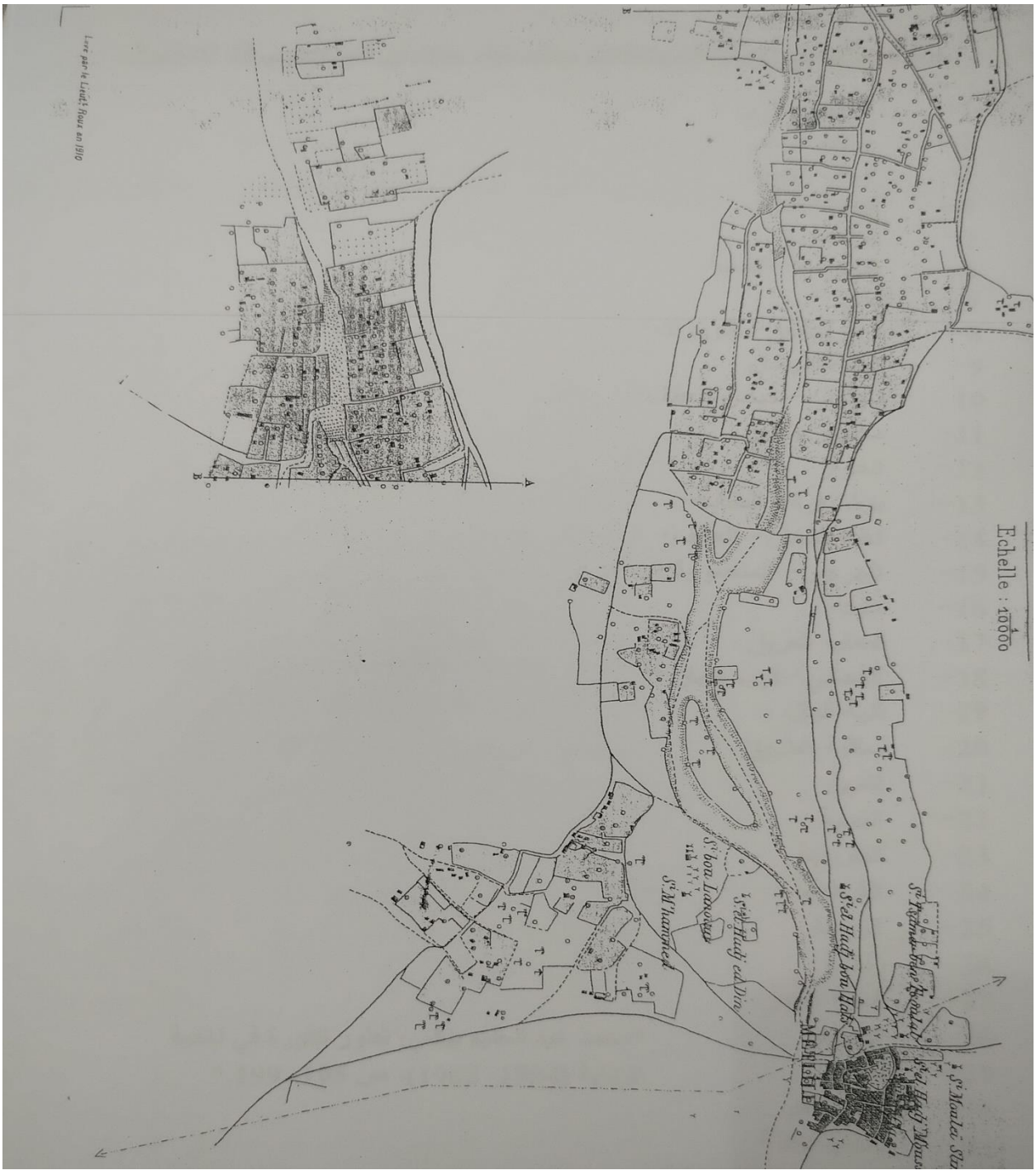
الموضوع	الصفحة
المقدمة	أ
الفصل الأول: الإطار النظري والمنهجي للذاكرة الشعبية والرواية الشفوية	7
المبحث الأول: مفاهيم الذاكرة الشعبية، الجماعية، الفردية وعلاقتها بالتاريخ	8
المبحث الثاني: الرواية الشفوية كمصدر تاريخي (النظرية والتطبيق)	13
المبحث الثالث: أشكال الموروث الشعبي (الشعر، الحكايات، الأمثال) ودورها في الحفاظ على الذاكرة	16
الفصل الثاني: متليلي الشعانبة – السياق التاريخي والاجتماعي للمقاومة	25
المبحث الأول: الجغرافيا والتاريخ الموجز لمتليلي قبل الثورة	26
المبحث الثاني: البنية الاجتماعية والثقافية: عوامل التلاحم والمقاومة	31
المبحث الثالث: التراث الشعبي كأداة لتعزيز الهوية الوطنية	36
الفصل الثالث: مساهمات متليلي في الثورة التحريرية (1954–1962) عبر الذاكرة الشفوية	42
المبحث الأول: التنظيم الثوري والعمل الفدائي في المدينة	43
المبحث الثاني: الأحداث والمعارك الرئيسية كما ترويها الروايات الشفوية	48

المبحث الثالث: دور المرأة الشعانبية والفئات الاجتماعية الأخرى	51
الفصل الرابع: تحليل الذاكرة الشفوية وتحديات حفظها	59
المبحث الأول: منهجية جمع وتوثيق الروايات الشفوية (المقابلات، التسجيل، التحقق)	60
المبحث الثاني: تحليل وتحويل الرواية الشفوية إلى مادة تاريخية مدونة	64
المبحث الثالث: دور الذاكرة الشعبية في إبراز الجوانب المغيبة أو المهملة في التاريخ الرسمي	71
المبحث الرابع: تحويل الشفوي إلى مدون (الرقمنة، الجيل الجديد، دوره في تعزيز الهوية الوطنية والتحديات المعاصرة)	72
خاتمة	78
قائمة المصادر والمراجع	82
ملخص البحث باللغة العربية	87
ملخص البحث باللغة الأجنبية	88
فهرس الموضوعات	89

ملحق الخرائط



ملحق رقم 01 : صورة للمسجد العتيق بمدينة متليلي الشعانبة



ملحق رقم 02 : خريطة مدينة متليلي من مركز الدراسات الصحراوية ب غرداية